منهج بديع الزمان سعيد النورسي في إثبات وجود الله ووحدانيته وجهوده في الرد على التيارات المعاصرة

داود صويلو

Bediüzzaman Said Nursi'nin Allah'ın Varlığını ve Birliğini İspatlama Yöntemleri ve Çağdaş Düşünce Akımlarıyla Mücadelesi

Davud SOYLU

İKSAD Publishing House

منهج بديع الزمان سعيد النورسي في إثبات وجود الله ووحدانيته وجهوده في الرد على التيارات المعاصرة

Bediüzzaman Said Nursi'nin Allah'ın Varlığını ve Birliğini İspatlama Yöntemleri ve Çağdaş Düşünce Akımlarıyla Mücadelesi

داود صويلو

Davud SOYLU

Editor: Dr. Ramazan KORKUT

İKSAD Publishing House

Copyright © 2023 by iksad publishing house
All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed or transmitted in any form or by
any means, including photocopying, recording or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of
brief quotations embodied in critical reviews and certain other noncommercial uses permitted by copyright law. Institution of Economic Development and Social Researches Publications®
(The Licence Number of Publicator: 2014/31220)
TURKEY TR: +90 342 606 06 75
USA: +1 631 685 0 853
E mail: iksadyayinevi@gmail.com
www.iksadyayinevi.com

It is responsibility of the author to abide by the publishing ethics rules.
Iksad Publications – 2023©

ISBN: 978-625-367-008-5
Cover Design: İbrahim KAYA
March / 2023
Ankara / Türkiye
Size: 21x29,7 cm

الإهداء

-إلى روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى أرواح الصحابة الذين تعلّموا العلم وعملوا به رضوان الله عليهم أجمعين، وإلى العلماء الذين ضحّوا بحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الحق وورثوا لنا ميراثهم العلمي.

-إلى والديّ الكريمين اللذين لم يبخلا عليّ بشيءٍ، وحببا إليّ العلم والعلماء منذ الصغر، أسأل الله تعالى أن يطيل في عمرهما، وأن يحفظهما من كلّ سوءٍ وبلاءٍ. وإلى إخواني، وأخواتي الذين كانوا عوناً لي في إتمام دراستي.

-إلى كل من علمني حرفاً، او أسدى إلى معروفاً، او كان لي عوناً في كتابة هذه الرسالة سائلاً المولى عز وجل أن يتقبل منى، وأن يجعل ذلك في ميزان أعمالي يوم ألقاه، آمين.

الشكر والتقدير

بادئ ذي بدء لله الحمد حمداً مع حمد كل حامد، وشكرا يقصُرُ عنه شكْرُ كل شاكر، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وإنني أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي ومشرفي على رسالتي الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وعلى حسن تعاونه فيما احتجت إليه خلال مراحل دراستي، حيث أولاني من رعايته واهتمامه وتوجيهاته القيمة، جزاه الله خير الجزاء.

وأتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أساتذة العقيدة الذين تتلمذت على أيديهم، وأخذت العلم عنهم، فجزاهم الله عنا كل خير.

ولا يفوتني أن اشكر الذين ساعدوني في مراجعة هذه الدراسة، وتدقيقه.

المحتويات

المقدمة 1

الفصل التمهيدي: تعريف ببديع الزمان سعيد النورسي 6

المبحث الأول: عصره 6

المطلب الأول: نهاية الدولة العثمانية..... 6

المطلب الثاني: ظهور الجمهورية التركية 10

المبحث الثاني: حياته الشخصية 15

المطلب الأول: ولادته ونشأته 15

المطلب الثاني: حربه وأسره 17

المطلب الثالث: نفيه وسجنه 20

المطلب الرابع: سنواته الأخيرة ووفاته 23

المبحث الثالث: مكانته العلمية 24

المطلب الأول: عقيدته ومذهبه الفقهي 24

المطلب الثاني: آثاره ومؤلفاته العلمية..... 27

الفصل الأول: منهج النورسي في إثبات وجود الله..... 33

المبحث الأول: إثبات وجود الله عند أهل السنة والجماعة 33

المطلب الأول: مفهوم وجود الله..... 33

المطلب الثاني: إثبات وجود الله عند السلف..... 34

المطلب الثالث: إثبات وجود الله عند المتكلمين 42

المبحث الثاني: إثبات وجود الله في منهج بديع الزمان سعيد النورسي 49

الفصل الثاني: منهج النورسي في إثبات وحدانية الله 62

المبحث الأول: إثبات وحدانية الله عند أهل السنة والجماعة 62

المطلب الأول: مفهوم وحدانية الله 62

المطلب الثاني: إثبات وحدانية الله عند السلف 63

المطلب الثالث: إثبات وحدانية الله عند المتكلمين 70

المبحث الثاني: إثبات وحدانية الله في منهج بديع الزمان سعيد النورسي 74

الفصل الثالث: منهج النورسي في الرد على التيارات المعاصرة 87

المبحث الأول: منهجه في الرد على الإلحاد 87

المطلب الأول: الإلحاد 87

المطلب الثاني: رد النورسي على الإلحاد 91

المبحث الثاني: منهجه في الرد على العلمانية 98

المطلب الأول: العلمانية 98

المطلب الثاني: رد النورسي على العلمانية 101

المبحث الثالث: منهجه في الرد على الشيوعية 106

المطلب الأول: الشيوعية 106

المطلب الثاني: رد النورسي على الشيوعية 109

الخاتمة 114

المصادر والمراجع 116

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي العربي المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين المبجّلين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أما بعد:

فقد حفظ الله تعالى آخر الكتب السماوية ليكون المعجزة الخالدة فقال الله في محكم التنزيل: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [الحجر:9]. ومن جملة حفظ الله تعالى للقرآن الكريم أن هيأ له على مر العصور والأزمان من يذب عنه أهل الشبهات ويدافع عنه، ومن يفسر معانيه العظيمة ويقربها إلى عامة الناس وخاصتهم.

فقد جهد علماء الإسلام لخدمة القرآن الكريم من صدر الإسلام حتى زماننا الحاضر، ويعدُّ بديع الزمان سعيد النورسي واحدًا من أبرز العلماء المعاصرين الذين نالوا شرف خدمة القرآن الكريم. وجهوده مشهودة في إبراز العقيدة الإسلامية من منهلها مستخدماً في ذلك الأساليب والمناهج الحديثة. فأقام الحجة بالعقل والمنطق السليمين على أسس العقيدة وثوابتها، كإثبات وجود الخالق ووحدانيته وكثير من أمور الغيبيات التي ينكرها الملحدون المعاصرون، ويشكك بها الجاهلون. وقد ضم جل ذلك في أشهر مؤلفاته المعروفة باسم: "رسائل النور"

وسوف أتناول منهج بديع الزمان سعيد النورسي في إثبات وجود الله ووحدانيته وجهوده في الرد على التيارات المعاصرة في تأليفاته العديدة.

1- مشكلة الدراسة:

ستتناول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

أولاً: ما المنهج الذي سلكه سعيد النورسي في إثبات على وجود الله تعالى؟ ما أهم الأدلة فيها؟

ثانياً: هل تميز سعيد النورسي بمنهجه في تناول إثبات وحدانية الله تعالى؟ وما أنواع الأدلة فيها؟

ثالثاً: ما أبرز التيارات المعاصرة التي تناولها سعيد النورسي؟ ما هي طريقة ردّه عليها؟ هل بيّن شبهاتهم التي أثارها أصحابه؟ وما أهم القضايا التي بيّنها سعيد النورسي؟

2- أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما يلي:

أولاً: بيان أن جهود علماء الإسلام في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته امر مهمّ، فقد مشى سعيد النورسي على طريقة علماء الإسلام في هذه المسائل، وتنوع أدلته وعرض أسلوبه.

ثانيا: توضيح موقف سعيد النورسي في الردّ على التيارات المعاصرة بمنهج أهل السنة والجماعة مهمّ في إزالة الشبهات التي أثارها الملحدون.

الثالث: بيان طريقة سعيد النورسي في الردّ على التيارات المعاصرة، ومنهجه في معالجة الموضوع يسهل للمسلمين حماية العقيدة الإسلامية في مواجهة الأفكار الباطلة.

3- أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف من خلال ما يلي:

أولاً: إبراز منهج سعيد النورسي في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، وتوضيح الأدلة التي استخدمها فيه.

ثانياً: إبراز الفكر الإلحادي، وبيان كيفية بطلان آرائهم من قبل سعيد النورسي.

ثالثاً: توضيح التيار الفكري المعاصر العلماني، وإبراز موقف سعيد النورسي في الردّ على شبهاتهم التي أثارها أصحابه حول قضايا إسلامية.

رابعاً: توضيح الفكر الشيوعي، ومنهج سعيد النورسي في الردّ عليه، وبيان طريقته في مناقشته معهم.

4- الدراسات السابقة :

لم يلاحظ هذا الموضوعات -فيما بحثت- بدراسة علمية مستقلة، ولكن وقفت على دراسات على موضوعات لها صلة بهذه الدراسة، وهي:

1 - عبد الرحمان، رائد سعيد أحمد بني (2005م)، **الفكر العقدي عند الإمام النورسي**: دراسات تحليلية، ماجستير، جامعة آل البيت.

تناولت هذه الرسالة الفكر العقدي عند سعيد النورسي كما يلي:

قسم الباحث رسالته إلى ثلاثة أبواب: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات في فكر النورسي. ولكل قسم عدة فصول كمفهوم الإيمان، ومعرفة الله، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية عند النورسي.

فقد تميزت رسالتي عن هذه الرسالة بأن رسالتي تناولت منهج سعيد النورسي في إثبات وجود الله ووحدانيته وجهوده في الرد على التيارات المعاصرة أماّ باحث هذه الرسالة فيتحدث عن فكرة توحيد الله ومعرفة الله في فكر النورسي بشكل عام.

2 – كوجار، موسى(1999م)، آراء سعيد النورسي في علم الكلام من المنظور النقدي، دكتوراه، جامعة مرمرة.

KOÇAR, Musa(1999), **Eleştirel açıdan Said Nursinin kelami görüşleri**, Doktora, Marmara Üniversitesi.

تناولت هذه الرسالة الأفكار في علم الكلام عند سعيد النورسي كما يلي:

قسّم الباحث رسالته إلى خمسة فصول: الموجودات والعالم، وجود الله، النبوة، الآخرة، الإيمان والكفر.

وجدير بالذكر بأن الفصل الثاني (وجود الله، القدر) من هذه الأقسام لها صلة بدراستي، ولكن الباحث لم يتعمق في هذا الموضوع، ولم يتكلم على منهجه، ومن جانب آخر تميزت رسالتي بحديث عن بيان موقف سعيد النورسي في إثبات وحدانية الله تعالى وفي ردّه على التيارات المعاصرة، وذلك لم يكن موجوداً في هذه الرسالة.

3 - الخطيب، محمد عثمان حسن (2000م)، **مذهب سعيد بن مرزا النورسي في المعرفة ودوره في تجديد منهجية التفكير الإسلامي**، ماجستير، جامعة آل بيت.

4- الكتبي، مؤيد إبراهيم عبد الرزاق (2015م)، **النورسي وجهده في التفسير وعلوم القرآن: جمع ودراسة ونقد**، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، دكتوراه.

5 -الحجري، حمادي (2000م)، **بديع الزمان سعيد النورسي ومنهجه الفكر الإصلاحي في تركيا من خلال كليات رسائل النور**، ماجستير، جامعة الزيتونة.

6 – أرغين، مورااد(1995م)، **نظرة سعيد النورسي إلى فلسفة**، ماجستر، جامعة حران.

ERGİN, Murat(1995)**, Said Nursinin Felsefeye Bakışı**, Yüksek Lisans, Harran Üniversitesi.

7 – آيتاج، أحمد(1996م)، **فهم سعيد النورسي من النبوات**، ، ماجستر، جامعة أنقاره.

AYTAÇ, Ahmet(1996), **Said Nursinin Peygamberlik anlayışı**, Yüksek Lisans ,Ankara Üniversitesi.

5- منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة استعمال المناهج الآتية:

الأول: المنهج الاستقرائي

سيتم استقراء أمهات كتب العقيدة الإسلامية بشكل عام وكتب بديع الزمان سعيد النورسي ذات الصلة بالمسائل العقدية بشكل خاص، لأجل الوصول إلى الآراء الراجحة في موقفه الواضح من علم العقيدة في إثبات وجود الله ووحدانيته والرد على التيارات المعاصرة.

الثاني: المنهج المقارن

وذلك للمقارنة بين منهج علماء أهل السنة والجماعة ومنهج بديع الزمان سعيد النورسي في تناولهم إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، وتوضيح أهم الأدلة التي استخدمها فيهما.

الفصل التمهيدي: تعريف ببديع الزمان سعيد النورسي

المبحث الأول: عصره

المطلب الأول: نهاية الدولة العثمانية

1. الأوضاع السياسية

ولد النورسي في ظل ظروف خطيرة مرت على الدولة العثمانية، فقد كانت كما تسميها أوروبا (الرجل المريض) حيث كانت تعاني من مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية ومن أخطر المشاكل السياسية بداية قوة اليهود الدنمة[1]، وهم الذين عاثوا فساداً في الدولة العثمانية، وقد جهدوا جهداً عظيماً لتمزيق الدولة العثمانية، ومنهم تيودور هرتزل[2] وعما نوئيل كراسو[3].

تيودور هرتزل كان ماكراً؛ وقد جعل من الدول الأوروبية كألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا قوة ضغط على الدولة العثمانية ليأخذ فلسطين من السلطان عبد الحميد مقابل سداد ديونها. كانت الدولة العثمانية تعاني من مشاكل مالية، ولكن عبد الحميد لم يرض أن يعطيهم فلسطين وقال: أنا لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي بل ملك شعبي كلهم. عندها أدرك هرتزل أنه لا يستطيع أن يأخذ شبرًا من الأراضي المقدسة ما دامت السلطة في يد عبد الحميد الثاني، فكان لا بد من مكيدة لإسقاطه وتمزيق الدولة العثمانية لكي يحصلوا على فلسطين بدون مقابل[4].

تشكل في الدولة العثمانية الجمعيات والأحزاب العديدة. وكان من أخطر هذه الجمعيات جمعية الاتحاد والترقي التي تؤكد على المفاهيم الطورانية[5]. إن جمعية الاتحاد والترقي نبعت في الأصل من الماسونية. وقد كانت كلمات اليهود الذين بنوا شعاراتهم عليها هي الحرية، والعدالة، والمساواة. وكانت تلك الكلمات أيضاً مما اتخذه الاتحاد والترقي شعارًا لهم.[6]

---

[1] هذه الكلمة (الدنمة) تعني، اليهود الذين يحقدون كثيراً على المسلمين ، وأطلق العثمانيون هذا الاسم على اليهود الذي يعيشون في مدينة سلانيك. انظر: الصلابى، علي محمد محمد (2001م)، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط**، (ط1)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص440.

[2] تيودور هرتزل، هو "زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العالمية". **المصدر السابق**، ص444.

[3] عما نوئيل كراسو، هو نائب سلانيك وعميل لإيطاليا. انظر: أزتنا، يلماز(1990)، **تاريخ الدولة العثمانية**، (ترجمة: عدنان محمود سلمان)، استانبول: منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، ج2/ص185.

[4] انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص444-446.

[5] "إن الطورانية تسمية تشير إلى وطن الأتراك الأصلي ونسبته إلى جبل توران الواقع في المنطقة الشمالية الشرقية من إيران". النعيمي، د. أحمد نوري(1997م)، **اليهود والدولة العثمانية**، (ط1)، عمان: دار البشير، ص163.

[6] انظر: النعيمي، **اليهود والدولة العثمانية** ، ص195.

إن ضباط الجيش العثماني الثالث الذين كانوا في البلقان كانو منضمين إلى الاتحاد والترقي. وفي 23 يوليو1908م اضطر عبد الحميد إلى إعلان المشروطية الثانية، وتولت جمعية الاتحاد والترقي في الحكم. وفي نفس السنة استقلت بعض دول البلقان من الدولة العثمانية.[1]

إن الصهيونة العالمية والاتحاديين لم يقتصر عملهم على الانقلاب على الدستور الجديد عام 1908م، بل تعاونوا مع بعضهم لإجبارعبد الحميد على التنحى عن العرش. فقد جلبوا قسماً من فرقة الجيش الثالث في سلانيك إلى إستانبول، ودخلوا إلى إستانبول، وصارت الحادثة تسمَّى ب 31 مارت والذي يصادف بتاريخ 14 نيسان 1909م. وكان طلعت بك[2] مسيطراً على المجلس بصفته الرئيس العام للاتحاد والترقي[3].

حزب الاتحاد والترقي أخذ السلطة بيده، وأصدر قرارًا في المجلس يلزم عبد الحميد بالتنحي عن العرش ونفيه إلى سلانيك. وتنازل السلطان عبد الحميد عن العرش لأخيه السلطان محمد رشاد الخامس في 27 إبريل 1909م، تولى سلطان محمد رشاد بعد أخيه ولكن الحقيقة لم يملك أي سلطة فعلية، فأصبحت السلطة بيد جمعية الاتحاد والترقي[4].

إن عصر السلطان محمد رشاد مليء بالحروب، والفتن، والمشاكل المختلفة. والدولة العثمانية ليست وحدها التي كانت تتعامل مع الاضطرابات السياسية، بل كل العالم يسوده الارتباك السياسي، فقد انطلقت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م[5].

إن الدولة العثمانية لم تدخل في الحرب بداية ولكن الاتحاديين كانوا يريدون دخول الحرب مع ألمانيا. وفي تاريخ 1914/11/29 دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى[6].

وكان الأرمن ممن يقطن شرق الأناضول بنسبة 5% وقد اتفقوا مع الروس، وبدأوا بمذابح جماعية دون التفريق بين الأطفال والنساء. لا يقتلون الشعب العثماني بالرصاص، بل يعذبونهم؛ ويقطعوا

---

(1) انظر: حرب، د.محمد(1991م)، **مذكرات السلطان عبد الحميد**، (ط3)، دمشق: دار القلم، ص57.
(2) طلعت بك (1874-1921): هو من زعماء الثالثة في جمعية الاتحاد والترقي، وعمل وزيراً والصدارة العظمى (رياسة الوزراء). انظر: **المصدر السابق**، ص276.
(3) انظر: أزتنا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج2/ ص180-184.
(4) انظر: حرب، **مذكرات السلطان عبد الحميد**، ص58.
(5) انظر: أزتنا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج2/ص: 232.
(6) انظر: **المصدر السابق**، ص: 235-236.

أوصالهم أو يحرقونهم ويتركونهم حتى الموت. وقد حاربهم أنور باشا[1]، وقامت الدولة العثمانية بتهجير الأرمن إلى جنوب البلاد في نيسان عام 1915م؛ وهذه الأماكن حاليا هي سوريا، لبنان، الأردن، العراق. وفي جنوب الدولة العثمانية[2].

توفي السلطان رشاد في تاريخ 1918/7/4م. وجلس على العرش محمد السادس الذي سماه الشعب بالسلطان وحيد الدين، وهو أصغر أبناء السلطان عبد الحميد. وتركت الدولة العثمانية الحرب بهدنة المندروس(1918/10/30). وقد حصل الكثير من التغير في أربع سنوات، حيث فقدت الكثير من الأماكن من يد العثمانيين؛ وهي بلغاريا ، روملي الشرقية، بوسنا هرسك، مصر، السودان، قبرص، ليبيا، ألبانيا، مكدونيا، كوسوفو، العراق، سورية، لبنان، فلسطين، الأردن، اليمن والسعودية. وبقيت الدولة العثمانية على حدود التركية الحالية.[3]

2. الأوضاع الاجتماعية

إن الدولة العثمانية كانت راية للإسلام، وكانت قائدة للمسلمين. ولكن مع الأسف الشديد لا شك فيه أن الدولة العثمانية في أواخر عهدها ظهرت فيها كثير من الدلالات الدالة على بداية الضعف والانحراف عن رسالتها وكان انتشار المدارس الأجنبية دلالة واضحة على بداية الانحدار الاجتماعي والتعليمي في الدولة واستطاعت هذه المدارس أن تربي جيلاً بعيداً عن دينه وقيمه وتراثه، حيث أصبح هؤلاء هم قادة العلم والتربية فيما بعد، خاصة بعد تفشّي الجهل والأمية بين الناس.[4] وبخاصة "مع جمعية الاتحاد والترقي، التي تبنت الأفكار الغربية المعادية للإسلام وللفكر الإسلامي".[5]

كان المسلمون يصلّون الفروض جماعة في المساجد، ثم يخرجون ويحلفون كذباً، وازداد الغش في شرائهم وبيعهم، وكانوا يأكلون الربا، واهتم الناس بشؤونهم الخاصة وأهملوا شؤونهم العامة. وأصبحت المنفعة الشخصية فوق المنفعة الاجتماعية.[6]

---

(1) "أنور باشا(1881-1922م): من قادة (الإتحاد والترقي). كان وزير الحربية في الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى". حرب، **مذكرات السلطان عبد الحميد**، ص: 273.
(2) انظر: أزتنا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج2/ ص237-245.
(3) انظر: **المصدر السابق**، ج2/ص: 256-259.
(4) انظر: د. بحراوى (1398ه – 1978م)، **حركة الإصلاح في عصر السلطان محمود الثاني**، (ط1)، القاهرة: دار التراث، ص258.
(5) الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص459
(6) انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ،ص: 506.

كان الإيمان بالقدر قوياً عند المجتمع العثماني، ولكن أصبح مفهوم القضاء والقدر خاطئاً عند الشعب، ويخضعون له. وأصبح سبب العطالة والكسل والفقر. إذ لم يكن أي فقير يخشى من المستقبل، ويبقى على تراخيه وكسله. ويعيش الشعب عاطلا دون حركة، لا يمكنهم الحصول على النتيجة في أي عمل.[1]

مع كل الانحرافات العظمى في الدين كان عدد العلماء كثيراً أيضاً. ولكن العلماء كانوا لا يتدخلون بالشؤون السياسية، وبقيت السلطة بيد الظالمين والفاسقين؛ لقد قام بعض الباشاوات بأفعال شنيعة و سفكوا دماء الأبرياء وسرقوا أموال الشعب.[2]

3. الأوضاع الدينية

إن الدولة العثمانية كانت متمسكة بالدين والعبادة في بداية تأسيسها. كما فهموها من القرآن الكريم والسنة النبوية، كما جاء إلينا من السلف الصالح رضوان الله عنهم أجمعين.

العثمانيون ابتعدوا عن تحكيم شرع الله تعالى الذي هو سبب سعادة الفرد والمجتمع وسعادة الدنيا والآخرة، وبسبب هذا الابتعاد كانت الدولة قد غرقت في كثير من الشرك والبدع والخرافات في أواخرها وحدث الانحراف في التوحيد، وقد حجب جهلهم حقيقة الدين، وضل الكثير عن الصراط المستقيم. وقد اشتدت قوة وشوكة الصوفية المنحرفة في أواخر العصر العثماني، وانتشر في القرنين الأخيرين قول: من لا شيخ له فشيخه الشيطان! فهذا القول جلب الناس إلى التصوف المنحرف.

وكان المتصوفة المنحرفة، يسبحون الله بالمعازف، وكانت مجالسهم مليئة بالطبول والنايات والأعلام والرايات، وكانت حلقات الذكر لا تخلو من الدف. وأصبحت حياتهم تدور حول الذكر في صورته المنحرفة، وهم قد تركوا العبادات والأعمال الأخرى؛ كطلب الرزق، والجهاد، وطلب العلم ونشره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتمسكوا فقط بالأذكار الجماعية أو الفردية.[3]

وانتشرت البدعة بكثرة وبخاصة في أواخر الدولة العثمانية. حيث كانت مفاهيم التصوف المنحرف تضر الدولة، وكان العالَم الغربي يتطور في مجالات العلم كافة، وكان شعب الدولة العثمانية يعيش

---

(1) انظر: أرتنا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج2/ ص: 565-567.
(2) انظر: الصلابي، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ،ص523-531.
(3) انظر: الصلابي، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط**، ص: 508-517.

في الفقر والكسل؛ وكان الفقراء يعيشون في الزوايا على نفقة المحسنين. فقد كانوا لا يعملون بحجة التفرغ للذكر وعبادة الله.[1]

و كان أكبر عالم في المدرسة يقبل يد أصغر شيخ في الزاوية، ويعطون القيمة للأذكار فوق العلم.

قال بديع الزمان سعيد النورسي عن هذا الحال:" لقد انقادت طائفة المدارس الشرعية لطائفة التكايا والزوايا الصوفية سالف العصور، أي سلموا لهم القيادة وراجعوهم للحصول على ثمار الولاية. تحرّوا عندهم أذواق الإيمان وأنوار الحقيقة. حتى كان عالم كبير من علماء المدرسة الشرعية يقبّل يد شيخ ولي صغير من أولياء الزاوية الصوفية ويتبعه، فطلبوا ذلك النبع الفياض بالماء الباعث على الحياة في التكايا والزوايا."[2]

ضعف فهم أهل العلم من الكتب العلمية لأن الحفظ أصبح غاية عند الطلاب والعلماء. كان العلماء يختصرون المؤلفات الطويلة بغير تسهيل، فأصبح العلماء ينقلون أقوال من قبلهم بدون الدليل والإثبات مجردًا عن الكتاب والسنة. وكان في تلك الفترة الأخيرة تعطى الإجازات العلمية للطلاب بسهولة بدون كفايتهم العلمية حتى كان في بعض الأحيان المدرس يعطى الإجازة بدون أن يرى الطالب. وأصبحت المناصب العلمية في أواخرها بالوراثة. عندما يموت الشيخ ينتقل منصبه إلى ولده أو أخيه أو أحد أقاربه بغض النظر عن علمه وإخلاصه وفهمه الأمور الدينية.[3]

المطلب الثاني: ظهور الجمهورية التركية

1. الأوضاع السياسية

بدأ تأسيس الجمهورية التركية، بإعلان فتح المجلس الوطني التركي الكبير (23 نيسان 1920) في أنقرة. وانتخب مصطفى كمال أتاتورك رئيسا له. وفي عام 1921، أقر المجلس السلطة المطلقة لرئيسه، وقائداً عاماً للجيوش الوطنية.[4]

---

[1] انظر: الصلابى، **المصدر السابق** ،ص: 513.
[2] النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **الملاحق**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 197.
[3] انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 525-527.
[4] انظر: هلال، رضا (1999م)، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، (ط1)، القاهرة: دار الشروق، ص: 58-59.

وفي هذه الفترة كانت بعض مدن الأناضول محتلة؛ كإستانبول وإزمير وأنطاليا. أجبر مصطفى كمال بريطانيا بالانسحاب من إسطانبول، واليونان وتوجهت إلى إزمير واحتلتها، وحاربهم مصطفى كمال وهزمهم وبهذا النصر أخذ مصطفى كمال لقب (الغازي).[1]

إن المجلس الوطني التركي الكبير بدأ يأخذ القرارات بدون سلطة السلطان العثماني، وأخذ القرار بإلغاء السلطنة (1922/11/1)، وأعلن المجلس الجمهورية (1923/10/29)، وانتخب رئيس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك وعصمت إينونو رئسا للوزراء[2]، وأصبحت أنقرة عاصمة للجمهورية التركية وإستانبول مركزاً للخلافة. ثم ألغى المجلس الخلافة (1924/3/3)[3]. وبهذه القرارات انتهت قوة بني عثمان تماماً.

لقد أراد مصطفى كمال إبعاد الدين عن الحكم، لأنه كان يظن أن الدين هو سبب التراجع، والمانع للتطور. وحول تركيا إلى العلمانية والتغريب؛ فألغى وزارة الأوقاف في عام 1924م[4]، وألغى الطربوش في أغسطس عام 1925م، وأحضر بدلًا عنه القبعة الأوروبية، وأغلق جميع الطرق الصوفية والزوايا والتكايا، وألغى كل الألقاب؛ كدرويش والمريد والأستاذ والسيد والأمير والخليفة وغير ذلك. وألغى المحكمة الشرعية، وغير الحروف العربية التي كانت تستخدمها الدولة العثمانية إلى الحروف اللاتنية في عام 1928م.[5]

إن الجمهورية التركية رفضَت قوانين الإسلام تماماً، وأخذت القانون المدني السويسري عام 1926م، وقانون العقوبات الإيطالي، والقانون التجاري الألماني. وهذه القوانين تعطي المساواة التامة بين المواطنين جميعاً، بين المرأة والرجل. وبهذه القوانين منعت تعدد الزوجات، وأعطت النساء الحقوق الجديدة؛ كحق التصويت و ملكية الملك والمساواة في الميراث. و صدر قانون توحيد التعليم بهذا القانون الذي منع تدريس الدين سوى في المدارس الحكومية.[6]

غيرت الحكومة التركية في دستور عام 1926م، وغيرت التقويم الهجري واستخدمت التقويم الغربي (الميلادي)، وفي نفس العام ألغى مصطفى كمال مادة الدستور التي تشير إلى أن (الإسلام

---

(1) انظر: هلال، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، ص60.
(2) انظر: **المصدر السابق**، ص: 61-65.
(3) انظر: أزتنا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج2/ ص: 260-263.
(4) انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 474.
(5) انظر: هلال، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، ص: 69-75
(6) انظر: النعيمي، الدكتور أحمد نوري (2011م)، **تركيا بين الموروث الإسلامي والإتجاه العلماني**، (ط1)، عمان: دار الجنان ص: 83-86

دين الدولة التركية) و أصبحت العلمانية مبدأ الجمهورية التركية. وحول مسجد الآياصوفيا الذي يعتبر شعارًا للفتح في إستانبول وعلمًا للإسلام في إسطانبول إلى متحف، وحول مسجد الفاتح إلى مستودع.[1]

أمرت الحكومة بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية، وتلاوته في الصلاة باللغة التركية. وقد استمر مصطفى كمال على ترجمة كل العبادات؛ ومنع القراءة والأذان والخطبة باللغة العربية وأجبر الشعب على قراء تهم باللغة التركية. ووضعت الحكومة التركية قانوناً في عام 1932م، وهوأنه من يتعلم التدريس سراً بالحروف العربية أو يؤذن باللغة العربية أن يُسجن من شهر إلى سنة أو يدفع غرامة نقدية.[2]

مات مصطفى كمال أتاتورك في 10 نوفمبير 1938م. وبعد وفاة أتاتورك أصبح عصمت إينونو رئيس الجمهورية التركية، واستمرت سياسة أتاتورك وأفكاره العلمانية. ثم دخلت تركية إلى الحرب العالمية الثانية في نهايتها، وظهرت في سنوات الحرب الأزمات الاقتصادية العنيفة.[3]

بعد موت أتاتورك وفي عام 1941م، قام بعض نواب حزب الجمهورية بالمطالبة بتعليم الدين في المدارس الرسمية. وكثرت المناقشات في هذا الموضوع وفي عام 1949م، يُسمح بالتعليم الديني في المدارس بشروط لمن يرغب أهله بمعدل ساعتين في الأسبوع.[4]

وسمحت الدولة بتشكل الأحزاب الجديدة فنشأ الحزب الديمقراطى الذي انشق من صفوف حزب الجمهورية نفسه، وجرت الانتخابات في عام 1950م، رغم كل هذه المحاربة للدين إلا أن الطابع الديني للشعب التركي لا يقبل برفض الدين، ولذلك فاز الحزب الديموقراطى وأصبح رئيس الجمهورية جلال بايار، كما أصبح عدنان مندرس رئيساً للوزراء.[5]

إن عدة جماعات إسلامية أثرت على المجلس الوطني التركي الكبير تأثيراً إيجابيًا لإحياء الدين. و"إن أكثر الجماعات تأثيراً على ذلك كانت حركة (بديع الزمان سعيد النورسي)، الذي بلغ عدد أطباعه أكثر من مليون ونصف، بحيث أصبح له التأثير على شرائح المجتمع التركي."[6]

---

(1) انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 474.
(2) انظر: النعيمي، **تركيا بين الموروث الإسلامي والإتجاه العلماني**، ص: 100.
(3) انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 478-478.
(4) انظر: الزين، مصطفى (1991م)، **ذئب الأناضول**، (ط1)، لندون: رياض الريسللنشر، ص: 312.
(5) انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 479.
(6) النعيمي، **تركيا بين الموروث الإسلامي والاتجاه العلماني**، ص: 181.

وهذا مما ساعد حكومة الحزب الديموقراطى، على إلغاء القانون الذي كان يمنع الأذان باللغة العربية، فأصبح الأذان باللغة العربية. وأصبح القرآن يُقرأ في محطة الإذاعة الرسمية. وأدخل الدراسات الدينية إلى المدارس. ولكن في عام 1960م، قام العسكر بالانقلاب، وأعدموا عدنان مندرس شنقًا في عام بعده.[1]

2. الأوضاع الاجتماعية

كان الشعب التركي قد تغير بشكل كبير من خلال دستوره الجديد الذي أخذوه من أوروبا، فأُعلنت العلمانية، ومُنعت بعض الملابس الإسلامية والعثمانية وبعض القوانين الإجبارية، ودخل اللهو إلى مجتمعاتها.

وزاد الاهتمام بالرسم والموسقى، وكان يأتي إلى تركيا عدد كبير من الفنانين أغلبهم من فرنسا. وكذلك زاد الرقص والحفلات الماجنة والمسارح المختلطة.[2]

وقد أدخلت القبعة الأوروبية إلى الزي وأصبحت عادة اجتماعية، بل باتوا يلزمون الناس باعتمارها، لأن لبس القبعة صار ضرورياً بسبب القانون الذي صدر من المجلس التركي الكبير. وجرى فرض السُّفور على النساء، وأصدرت بعض المجالس البلدية قرارت بحظر ارتداء الجلباب على السيدات، وأُلزمن بارتداء الفستان.[3]

وجاء الرد على هذه الأفعال العلمانية الإجبارية، من بعض أبناء الريف، ردًا فعلياً بسبب طبيعتهم المتشددة في الأرياف، وقد قام بعض الناس بتأسيس الجمعيات.[4]

لقد كان لظهور الطرق الصوفية والجمعيات الدينية والخيرية والثقافية والتعليمية في تركية، أثر في نشر الوعي الإسلامي والسياسي بين الشعب؛ فتشكلت التكتلات الإسلامية والسياسية، مما أفشل الخطة العلمانية في تركيا، فعاد المجتمع التركي إلى ثقافته الأصلية المرتكزة على التعاليم الإسلامية.[5]

3. الأوضاع الدينية

---

(1) انظر: هلال، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، ص: 100-109.
(2) انظر: الصلابى، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 475
(3) انظر: هلال، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، ص: 70-73.
(4) انظر: النعيمي، **تركيا بين الموروث الإسلامي والاتجاه العلماني**، ص: 153-167
(5) انظر: هلال، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، ص: 107-108.

إن الأوضاع الدينية في بداية الجمهورية التركية مؤلمة ومظلمة لأنه سكوت العلماء، ومنع النشرات الدينية، ومنع البيان والتبلغ الحقائق الدينية، وكان أعداء الإسلام يطبقون خطوط إنهدام الإسلام والإيمان.[1]

وقد بدأ المسلمون الأتراك بتأدية العبادات بلغتهم. وانتشر الجهل بين الناس. فقبلوا القانون المدني السويسري، وابتعدوا عن أحكام الشريعة، وبتطبيقهم للعلمانية، غفلوا عن حقائق العقيدة الإسلامية.[2]

أما أتباع الصوفية الذين التزموا منهج أهل السنة والجماعة، فقد حافظوا على التراث الإسلامي، وحفظوا القرآن الكريم سراً، وكانت هذه الحركة الصوفية تهتم بالعبادات والمعاملات الشرعية، وقامت بتأسيس الجمعيات للإنفاق على طلاب مدارس الأئمة والخطباء.[3] ولكن هذه النشاطات كانت سرية، لأن تلك الطرق والجمعيات كانت ممنوعة في القانون التركي آنذاك.

وبعد أن نجح الحزب الديمقراطي بفضل دعم الطريقة النقشبندية له في الانتخابات، بدأ دخول القررات الدينية إلى السياسة. وتحققت أهداف المؤسسات الإسلامية، وهي؛ إحياء القرآن الكريم، ونشر اللغة العربية التي هي لغة القرآن، وإحياء العلوم الإسلامية، كالفقه والتفسير، والحديث وعقيدة أهل السنة وغير ذلك.[4]

وقامت حركة النور التي أسسها بديع الزمان سعيد النورسي وتلاميذه، التي تركز جهدها على الدعوة إلى الإسلام والإيمان بالله واليوم الآخر ومحاربة الملاحدة والعلمانية، والاهتمام بتربية الأجيال تربية أخلاقية، وتجنب الخوض في القضايا السياسية.[5]

"وقد كتب الإمام النورسي العديد من الرسائل الإسلامية تحت عنوان (رسائل النور) في سبيل التوعية الإسلامية ومقاومة المبادئ الكمالية والعلمانية، ولم تعمد حركته إلى حمل السلاح واقتصر جهادها على اللسان."[6]

---

(1) انظر: النورسي، بديع الزمان سعيد (2014م)، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي (Bediüzzaman Said Nursi Tarihçe-i Hayatı)**، (ط8)، إستانبول: دار الأنوار، ص693.
(2) انظر: شاكر، محمود (1996م)، **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر تركيا**، (ط3)، المكتبة الإسلامية، ص: 54-55.
(3) انظر: الصلابي، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 470.
(4) انظر: هلال، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، ص: 106-109.
(5) الصلابي، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط** ، ص: 480.
(6) انظر: **المصدر السابق**، ص: 477.

المبحث الثاني: النورسي حياته الشخصية

المطلب الأول: ولادته ونشأته

ولد سعيد النورسي عام (1877م). في قرية (النُورس)، التي تقع شرقي الأناضول، وهي إحدى قرى قضاء (خيزان) التابعة لولاية (بتليس) التي تقع في شرقي الأناضول. وكان اسم والده (ميرزا)، وأمه (نورية).[1]

لقد تميز سعيد النورسي منذ طفولته، بحدة ذكائه، وعزة نفسه، فلم يقبل من أحدٍ هدية أو مالاً بدون مقابل، ومع أنه كان طالب علم إلا أنه كان لا يقبل شيئًا من الزكاة أو الصدقة التي كانت تعطى لطلبة العلم.[2]

بدأ سعيد النورسي بتلقي العلم عند أخيه الكبير (مولا عبد الله)، وواصل دراسته في المدارس العلمية في قرى متعددة. ثم ذهب في سنة 1888م إلى (بتليس) والتحق بمدرسة هناك، ولكنه لم يلبث فيها طويلاً. ثم انتقل إلى مدرسة في قضاء (بايزيد) التابعة لولاية (آغري)، التي تقع في شرق الأناضول. وهنا بدأت الدراسة الدينية الأساسية في حياته لأنه لم يكن قد قرأ قبل ذلك سوى النحو والصرف. وقضى في هذه المدرسة ثلاثة أشهرٍ في دراسة جادّة ومكثفة حيث قرأ جميع الكتب التي كانت تدرّس عادة في هذه المدرسة. وكان يقرأ من هذه الكتب صفحات كثيرة ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي. وكان في هذه المدة منقطعاً عن العالم، يقضي معظم أوقاته في العلم. وبعد فترة وجيزة حصل على إجازته العلمية من شيخه (محمد جلالي).[3]

وبعد إجازته في سنة 1889م، ذهب النورسي إلى مدرسة العالم المعروف (فتح الله أفندي)، في سيْرْت. وقد سأله الشيخُ فتح الله أفندي: كنت في العام الماضى تدرس كتاب السيوطي، فهل تدرس في هذا العام كتاب المُلّا جامي؟ فأجابه: نعم، لقد أنهيت كتاب الملا جامي. فما سأله ملا فتح الله عن كتاب إلا قال له: لقد أنهيته. وما سأله إلا أحسن الإجابة، فقال له إن ذكاءك رائع، فكيف حفظك؟ وأعطى له كتابًا قائلاً: هل تستطيع حفظ بضعة أسطر من هذا الكتاب بقراءته مرتين؟ فأخذ سعيد النورسي الكتاب وقرأ صفحة منه مرة واحدة، فحفظها وقرأها لشيخه. فدهش شيخه لقدرته على سرعة الحفظ. ومن

---

[1] انظر: الصالحي، احسان قاسيم(2010م)، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، (ط1)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 14.

[2] انظر: جرار، د.مأمون فريز (2017م)، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، (ط1)، عمان: دار المأمون، ص: 12.

[3] انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 15-16.

الجدير بالذكر أن النورسي حفظ كتاب (جمع الجوامع)[1] في أسبوع واحد، حيث كان يذاكره بواقع ساعتين في اليوم. فكتب له شيخه على نسخة الكتاب التي حفظ منها شهادة مفادها: (قد جمع في حفظه جمع الجوامع جميعه في جمعة).[2]

ولم يلبث النورسي أن انتشرت شهرته، فأقبل عليه العلماء يحاورونه، وحاول بعضهم مجادلته بهدف إحراجه، ولكنه كان يُلجمهم بإجاباته المقْنعة. وحين انتشرت شهرته، حيث أُطلق عليه لقب (سعيد المشهور)، أصرّ عليه والي بتليس (عمر باشا) أن يقيم معه في بيته. وقد قبل سعيد النورسي هذه الدعوة، فجعل له الوالي غرفة في بيته، حيث وجد ملّا سعيد فرصة لمطالعة الكثير من الكتب العلمية وحفظ العديد منها.[3]

وانتقل الملا سعيد إلى (وان) بدعوة واليها حسن باشا. فبقي فيها خمس عشرة سنة، وبدأ يتجول بين العشائر تعليمًا وإرشادًا. وهناك في وان تشكلت لديه قناعة بأن علم الكلام القديم وحده لا يكفي للرد على الشبهات حول الإسلام في هذا العصر، وأنه يتوجب عليه أن يتعلم العلوم الحديثة، فاشتغل بها وحصل على الكثير منها في مدة قصيرة؛ كالتاريخ والجغرافية والرياضيات والجيولوجيا والفيزياء والكيمياء والكيمياء اللاعضوية والفلك والفلسفة وغير ذلك من العلوم الحديثة. وعندما كان يشترك في مناظرة في علم من العلوم مع معلمها، كان يستغرق وقتة أربعًا وعشرين ساعة في مطالعة الكتب التي تكون المناظرة فيها، وفي اليوم التالي كان النورسي يتفوق على معلم تلك المادة.[4]

وفي هذه الفترة وصل إليه خبر أن وزير المستعمرات البريطاني وليم جلادستون أمسك بيده نسخة من القرآن ورفعه في المجلس البريطاني قائلاً: ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكم عليهم، ولذلك ينبغي أن ننتزعه من أيديهم، أو نقطع صلة المسلمين به. فزلزله هذا الخبر زلزالًا شديدًا. فقال: لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها.[5]

وذهب النورسي إلى إستانبول في سنة 1907م. وفي أثناء إقامته هناك علق لوحة على باب غرفته مكتوب عليها: هنا يجاب عن كل سؤال دون أن يسأل هو أحداً من الناس. فتنامت رغبات الكثيرين

---

(1) الجمع الجوامع: هو "كتاب في أصول الفقه لابن السبكي"، **مصدر سابق**، ص17.
(2) انظر: النورسي، بديع الزمان سعيد (2016م)، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، (ترجمة: حسين عثمان وآخرون)، (ط1)، استانبول: دار الأنوار، ص: 52.
(3) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 17.
(4) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 63.
(5) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 15-16.

في رؤيته لطرح أسئلتهم عليه. ومن هنا انتشرت شهرته في استانبول التي كانت عاصمة الخلافة الإسلامية.[1]

وفي استانبول عرض على عبد الحميد، فتح جامعة في شرق الأناضول باسم مدرسة الزهراء تكون مكانًا لدراسة العلوم الدينية مع العلوم الحديثة. حيث كان الجهل والفقر منتشرين بين سكانها. وكان هدفه من هذا المشروع هو أن ينهض المسلمون مما هم فيه من حالة تخلف.[2]

حين وقعت محاولة الانقلاب على السلطان عبد الحميد في حادثة 31 مارت، وكان من نتائجها إعدام خمسة عشر عالمًا كانوا يطلبون الشريعة في تلك الحادثة؛ كان أحد المحكومين هو بديع الزمان سعيد النورسي. حينها سأله رئيس المحكمة خورشيد باشا: هل أنت أيضًا تطالب بتطبيق الشريعة؟ إن من يطالب بها يشنق هكذا. فأجابه النورسي بشجاعة قائلاً: نعم أنا أيضًا أطالب بتطبيق الشريعة، سأضحي بألف روح لحقيقة واحدة من حقائق الشريعة، لأن الشريعة هي سبب السعادة، والفضيلة، وهي العدالة المحضة، غير أني لا أطالب بها كما يطالب المتمردون. وبعد دفاعه عن الشريعة حكمت المحكمة ببراءته، وغادر بديع الزمان من المحكمة، واجتمع الناس خلفه وهو يقول بصوت عالٍ: (عاشت جهنم للظاللمين... عاشت جهنم للظاللمين...).[3]

وفي سنة 1911م، ذهب سعيد النورسي إلى الشام وألقى خطبة باللغة العربية في المسجد الأموي في دمشق، وكان معظم الحضور من العلماء، فلقيت تلك الخطبة قبولاً وتقديراً فوق العادة، وطبعت باسم (الخطبة الشامية)، التي عرفت بأسباب أمراض الأمة الإسلامية وعلاجاتها. ومن دمشق ذهب إلى إستانبول لعرض مشروعه (المدرسة الزهراء) فقابل السلطان محمد رشاد وأخذ وعداً منه. ولكن للأسف توقف المشروع بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى.[4]

المطلب الثاني: النورسي حربه وأسره

شارك سعيد النورسي في الجهاد في الحرب العالمية الأولى، وقد شكل من تلاميذه فرقة للأنصار المتطوعين، وكان يقاتل في جبهة القفقاس ضد الروس والأرمن للدفاع عن مدينة الوان.[5]

---

(1) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 19.
(2) انظر: جرار، د.مأمون فريز (2017م)، **في ظلال رسائل النور**، (ط1)، عمان: دار المأمون، ص: 40.
(3) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 77.
(4) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 27-28.
(5) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 26.

فكان الأرمن يقتلون الأسرى المسلمين وأطفالهم، وكان بعض المسلمين يذهبون إلى معاملتهم بالمثل، وفي إحدى المرات تجمع آلاف من أطفال الأرمن، وكاد المجاهدون أن يقتلوهم، ولكن بديع الزمان منع قتلهم، ثم أمر بإطلاق سراحهم. وعلى هذه الحال أقلع الأرمن عن قتل الأطفال المسلمين.[1]

وفي أثناء تلك الحرب كان النورسي يؤلف تفسيراً للقرآن الكريم باللغة العربية باسم (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، وقد كان يعمل على إنجاز هذا التفسير في أوقات الحرب العصيبة دون أن يستعين بأي مصدر أو مرجع.[2]

وبعد فترة طويلة من جهاده، أسره الروس وأخذوه إلى (كوسْتْروما)[3]، ونقل إلى معسكر الأسرى وهناك جرت حادثة؛ وهي أن القائد العام الروسي نيقولا نيقولافيج جاء يوماً إلى المعسكر لزيارة الأسرى. وفي أثناء تجواله مر ببديع الزمان، وكان بديع الزمان جالسًا، فلم يقم أمامه. وقد لفت هذا نظر الجنرال فعاد ليمر به ثانية، ولكن بديع الزمان لم يقم أيضًا، فسأل القائدُ النورسي بواسطة الترجمان: "ألا تدري من أنا؟" فأجابه النورسي "نعم أعلم." فسأله القائد "إذاً لمَ لمْ تقوم أمامي؟ ولمَ أهنتني؟" فقال النورسي " معذرة ولكن لم أقصد إهانتك فأنا لم أفعل غير ما تأمرني به عقيدتي. إنني عالمٌ من علماء المسلمين وقلبي يملأه الإيمان ومن ثم فالمؤمن أفضل من الكافر، ولذلك لن أقوم". فقال القائد: "أنت تدعي أنني لا ديني وأنت تسخر مني ومن جيشي وكذلك من القيصر. وساقه إلى المحكمة العسكرية. حينها أخذت المحكمة قراراً بإعدام النورسي لإهانته القيصر والجيش الروسي. وقبل تنفيذ الحكم، طلب النورسي منهم الإذن بأن يصلي ركعتين قبل مماته، فسمحوا له. وفي أثناء الصلاة كان القائد يراقبه، فقال له بعد أن أنهى صلاته "سامحني! لقد ظننت أنك فعلت ذلك بقصد إهانتي، وأما الآن فقد عرفت أنك تفعل ما يأمرك به دينك، لقد ألغيت الحكم الصادر ضدك." وخلص النورسي من الإعدام بكرامة الصلاة.[4]

---

(1) انظر: مجموعة من العلماء(د.محمد عمارة) (2008م)، **قالوا عن النورسي**، (ط1)، القاهرة: دار السنابل الذهبية، ص: 9.

(2) انظر: النورسي، بديع الزمان سعيد (2013م)، **سيرة ذاتية**، (ترجمة: احسان قاسيم الصالحي)، (ط7)، القاهرة:دار سوزلر، ص: 150.

(3) هي: "مدينة تقع في قلب روسيا إلى الشمال الشرقي من موسكو، وتبعد عنها نحو ثلاثمئة وخمسين كيلو مترا."، النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 146.

(4) انظر: واحدة، شكران (2007م)، **الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي**، (ترجمة: محمد فاضل)، (ط1)، القاهرة: دار سزلر، ص: 202-203.

وبعد أن مكث بديع الزمان في الأسر مدة سنتين وأربعة أشهر يسّر الله تعالى له الفرار بأعجوبة، فهرب من الأسر إثر حدوث الثورة البلشفية. ومر في رحلة طويلة من روسيا إلى ألمانيا، ومنها وصل إلى إستانبول. وفي إستانبول عين عضواً في دار الحكمة الإسلامية التابعة لدائرة المشيخة الإسلامية، وقد كانت عضوية الدار لا توجه إلا للأشخاص والعلماء البارزين. وفي هذه الوظيفة خَصصت له الدولة مرتبًا، ولكنه لم يأخذ من هذا الراتب لنفسه إلا ما يكفي احتياجاته الضرورية، بينما خصص الباقي لطباعة بعض الرسائل، ووزع الفائض على فقراء المسلمين.[1]

وحين كان الإنكليز يحتلون استانبول، نشر النورسي رسالة ضد الاحتلال الإنكليزي باسم الخطوات الستّ، ولهذه الرسالة أثر كبير في كشف خطط الإنكليز واليونانيين، ووصل الكتاب إلى القائد الإنكليزي فقرر اغتيال النورسي، ولكن القائد سمع أنه إذا قتله ستقوم عشائر الأناضول ضده فعدل عن اغتياله.[2]

وجهت حكومة أنقرة دعوة لسعيد النورسي للمجيء إلى أنقرة تقديرًا لخدماته للوطن التركي. وقرر النورسي إجابة الدعوة؛ فاستُقبل في أنقرة بحفاوة بالغة. ولاحظ النورسي أن جُلَّ أعضاء المجلس غافل عن الدين. فألف رسالة عن قيمة العبادات وخاصة الصلاة، ووجهها إلى نواب المجلس. وكان من ثمرات هذه الرسالة استقامة ما يقارب من ستين نائباً ومواظبتهم على صلاتهم.[3]

وقد أزعج هذا الأمر مصطفى كمال، فقال لبديع الزمان:"لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهودكم هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس. فأجابه بديع الزمان مشيرا إليه بأصبعه في حدة: باشا.. باشا.. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وأن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود."[4]

فاعتذر مصطفى كمال من النورسي وعرض عليه أن يكون مفتياً لشرق الأناضول ونائبًا في المجلس براتب كبير. ولكن النورسي رفض كل ذلك لأنه رأى أن خدمة الإسلام لا تتفق والعمل بالسياسة.[5]

---

(1) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 31.
(2) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 31.
(3) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 175-181.
(4) الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 38.
(5) انظر: جرار، **في ظلال رسائل النور**، ص: 41.

وغادر بديع الزمان أنقرة، بعد تلك المواجهة مع مصطفى كمال، إلى مدينة وان. وانزوى معتكفًا في وان، واستمر بالإعتكاف والانزواء.[1]

المطلب الثالث: نفيه وسجنه

وقد شهدت الأناضول الثورة الكردية ضد الحكومة الجديدة التي تحارب دين الله. وكان قائد الثورة يُدعى (سعيد بيران)[2] المشهور باسم شيخ سعيد. وقد دعا شيخ سعيد بديعَ الزمان ليشترك معهم في الثورة ضد العلمانية، ولكن بديع الزمان رفض الاشتراك معهم وقال لهم: إن ما تقومون به من ثورة تدفع الأخ لقتل أخيه، فالأتراك قد رفعوا راية الإسلام، وقضى مئات الألوف منهم شهداء في سبيل دينهم، لذا لا يرفع السيف على أحفاد الأمة الإسلامية.[3]

بدأت حكومة أنقرة بإخماد الثورة المسلحة بالقبض على رؤساء العشائر الكردية وزعمائهم ونفيهم إلى مدن أخرى ومراقبتهم، وعلى الرغم من أنّ بديع الزمان كان متفرغاً للعبادة في كهف على قمة جبل، إلا أنّ الحكومة نقلته ونفته إلى مدينة بوردور التي بقي فيها سبعة أشهر، وألف في تلك المدينة رسالة (المدخل إلى النور) ثم نقل إلى إسبارطة، ومن إسبارطة نقل إلى واحدة من قراها تسمى بارلا، وعاش فيها ثماني سنوات، حيث قضى الليلة الأولى في مخفر الشرطة، ثم خصص له بيت صغر، وكان أمام هذه البيت شجرة كبيرة، فصنع له أحد النجارين كوخاً خشبيًا على هذه الشجرة وكان بديع الزمان يقضي وقته ليلاً ونهاراً في كوخه متفرغًا للعبادة والأذكار. وكانت السلطة تراقبه دائمًا، لذلك كان أهل القرية يخافون الاقتراب منه ويتجنبونه. فظلَّ النورسي في عزلته يعتكف في كوخه أو يصعد إلى الجبل ويتفكر في الكون وخالقه.[4]

و بعد تفكره العميق بدأ النورسي بتأليف تفسيره (رسائل النور)، وساعده أهل القرية في نشر هذا التفسير. فكانوا يكتبون تلك الرسائل سرًا بالأيدي، لأن نشر الرسائل الدينية كان ممنوعًا في تركية. وقد كانت الرسائل تُكتب بالحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة العثمانية. وبهذه الطريقة نجح نشر (رسائل النور) بين القرى.[5]

---

(1) الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 40.
(2) هو؛ "عالم كبير، وشيخ من شيوخ الطريقة النقشبندية، وصاحب نفوذ واسع بين عشائر الأكراد، اندلعت على يده ثورة عصيان مسلحة في جنوب شرقي تركية، انتهت بإخمادها وإعدامه مع عدد من رفاقه في عام 1925م"، النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 194.
(3) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 57-58.
(4) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 42-46.
(5) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 84.

ألف النورسي تفسيره دون الرجوع إلى كتاب سوى القرآن الكريم، ولم يكن لديه في وقت التأليف أي كتاب، فكان يعتمد على ما حفظته ذاكرته. وقد اجتمع آلاف من الطلاب حول النورسي، رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، وقاموا بنشر رسائل النور، حتى أن بعض طلابه، أقاموا في بيته سنين طويلة عاكفين على العناية برسائله. وكانت بعض النساء الفاضلات المباركات يجهدن في أمور نشرها، حتى كانت منهن من جاءت إلى النورسي وقالت له: (سيدي.. سأكفي زوجي القيام بأعماله، ليتفرغ لخدمتك)، وكانت منهن من حملن مصابيح في الليل إلى جانب أزواجهن لكي ينسخوا رسائل النور.[1]

أزعج انتشار تفسير النورسي العلمانيين فراحوا يراقبونه، واتهموه بتشكيل جمعية سرية، وبالقيام بأعمال ضد النظام تهدد أسسه، أي أنه يخطط لانقلاب ضد الجمهورية التركية. [2]

وبناءً على هذه الاتهامات، صدر قرار بالقبض عليه، فتوجه درك عسكري ذات صباح إلى المكان الذي يختلي فيه بديع الزمان في العام 1935م، فأخرج منه، وسيق مع طلابه في الشاحنات مكبلين إلى (أسكي شهر). وأحيل بديع الزمان سعيد النورسي مع مئة وعشرين من طلابه إلى محكمة جنايات أسكي شهر، فحُكم على بديع الزمان بالسجن أحد عشر شهراً، وكذلك صدر حكم بالسجن على خمسة عشر من طلابه ستة أشهر، وبرّأت المحكمة الباقين. وعلى الرغم من السجن ظلمًا إلا أن النورسي لم يمتنع عن التأليف، فقد ألف رسائل مهمة في سجنه كاللمعة الثلاثين المتعلقة بشرح أسماء الله الحسنى الأعظم.[3]

بعد أن قضى النورسي في السجن مدة سجنه، نفي إلى مدينة قسطموني في عام 1936م. وقد خصص له بيت أمام مخفر الشرطة مباشرة، حتى يكون تحت الرقابة الدائمة. وبقي النورسي في هذه المدينة سبع سنين استمر خلالها في تأليف رسائله، مثل رسالة الآية الكبرى، ورسالة مناجاة، وغيرهما... وقد انتشرت رسائل النور في قسطموني وما حولها سراً على الرغم من الرقابة المشددة، فقد استنسخ بعض طلبته بأيديهم ستمائة نسخة من تلك الرسائل، وبصبر بالغ كان الواحد منهم يستنسخ أكثر من ألف نسخة. وهكذا انتشرت رسائل النور تدريجيًا في شتى أرجاء تركيا.[4]

هذا الانتشار لرسائل النور أزعج أعداء الإسلام، فراحوا يهاجمونه من جديد بتهمة تشكيل جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة تغيير نظام الحكم. وبموجب هذه الاتهامات

---

(1) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 206-209.
(2) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 87.
(3) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 275-277.
(4) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 57.

قبضوا عليه وعلى طلابه، واقتادوهم إلى سجن مدينة (دنيزلي) في شهر أيلول سنة 1943م، حتى شهر حزيران 1944م. وألف النورسي في سجنه رسائل عديدة، كما أطلق على هذا السجن اسم المدرسة اليوسفية. فقد حوّل السجن إلى مدرسة للدعوة، وكان من ثمرات دعوته فيه توبة الكثير من أصحاب الجرائم المسجونين. وامتلأت قلوبهم بأنوار الإيمان.[1]

جاءت الأوامر بنفي النورسي إلى قضاء أميرداغ من قضاء ولاية آفيون في عام 1944م، وهو الشخص الذي برأته المحكمة. وقد خصص له بيت وضع فيه تحت الإقامة الجبرية. ووضع على بابه حارس لمراقبته. وكان من عادة بديع الزمان أن يخرج في فصل الصيف إلى السهول والجبال، ولكن تحت رقابة شخص بأمر من المحكمة. وقد وضع في طعامه سمٌ بيد الطبيب الرسمي، حيث قضى بديع الزمان أسبوعًا في الفراش يتلوى من آلامه، ولكن الله حفظه من الموت وشفاه.[2]

في أواخر العام 1947م حضر إلى أميرداغ ثلاثة أشخاص من عناصر الأمن للتحرّي عن نشاطات تنظيم ديني سري كان منتشرًا في أنحاء البلاد، وبدؤوا بالتحري عن بديع الزمان وطلابه، حيث خصصوا خمس مروحيات لمراقبته وقت خروجه من البيت. وصدرت الأوامر بتفتيش بيوت طلابه، وفي النهاية اعتقل النورسي وخمسة عشر طالباً من طلابه ونقلوا إلى محكمة أفيون في عام 1947م.[3]

لقد كانوا يوجهون له دائما الاتهامات نفسها التي ذكرناها آنفا، ولكن ليس للنورسي علاقة بهذه الاتهامات كما قال: " إنني لم أراجعكم ولم أقرأ صحيفة منذ ثماني عشرة سنة، ولم أسأل مرة واحدة منذ ثمانية أشهر عما يجري في العالم، ولم أستمع منذ ثلاث سنوات إلى المذياع، وما ذاك إلا تحاشيًا أن يصيب خدمتنا القدسية ضرر معنوي، ذلك أن خدمة الإيمان وحقائقه أسمى من كل شيء في الكون، ولا يمكن أن تكون تابعة أو أداة لشيء. ولقد منعتنا خدمة القرآن الحكيم من السياسة منعاً قطعياً في هذا الزمان، حذراً من أهل الغفلة والضلالة."[4]

هذا هو الأستاذ سعيد النورسي، الشيخ الذي جاوز السبعين من عمره، وحكمت محكمة أفيون عليه بالسجن عشرين شهراً في غرفة شديدة البرودة يصعب تحملها، وحاولوا قتله بالسم أكثر من مرة. [5]

---

(1) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 92.
(2) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 68.
(3) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص676.
(4) **المصدر السابق**، ص: 388.
(5) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 96-97.

قد خرج من سجنه في 20 سبتمبر 1949م، وتوجه برفقة ضابطين من الشرطة إلى بيته الذي استأجره له بعض طلابه في أميرداغ.[1]

المطلب الرابع: سنواته الأخيرة ووفاته

فرح المسلمون بمجيء الحزب الديمقراطي إلى الحكم في انتخابات عام 1950م، لأن هذا الحزب كان يسمح بالنشاط الإسلامي، وعاد الأذان الشرعي يُرفع في المساجد في العام نفسه. ولكن المحاكمات لم تتوقف؛ فقد جرى العديد منها في إستانبول وصامسون وأفيون. وفي محكمة أفيون اجتمعت لجنة من الخبراء لتحقيق رسائل النور. وصدر القرار بعد هذه التحقيقات بتاريخ 1956/05/25م، بأن رسائل النور تخلو من أي عنصر مخالف للقانون. وبعد هذا القرار صارت رسائل النور تُطبع في المطابع بإذن رسمي.[2]

قضى بديع الزمان سعيد النورسي سنواته الأخيرة مع طلابه في مدينة إسبارطة، وكان أحياناً يقوم بزيارة الأماكن التي عاش فيها؛ بارلا وأميرداغ، ولكن بسبب سنّه ومرضه كان في أكثر الأحيان طريح الفراش. وكان قليل اللقاء بالناس لأنه كان يتعذر عليه أن يقابل مئات من الزائرين. فكان دائمًا يقول: (إن قراءة رسائل النور أفضل من اللقاء معي).[3]

لقد كان لجهود بديع الزمان في خدمة الإيمان، وثباته على الحق والحقيقة أثر كبير في تركيا، فقد انكسرت موجة الإلحاد التي حاربت الدين ظاهرًا وباطنًا.[4]

لقد جنّبت ثمرات منهج النورسي تركيا من الوقوع في الثورة الدموية، مع أن تركية لم تخلُ على المستوى الرسمي نوعاً من أنواع الكفر الذي يحارب مع الإسلام. وقد رأى النورسي في آخر حياته بداية انسحاب مواجهات الكفرعن بلاده بفوز الحزب الديمقراطي الذي أرجع الأذان الشرعي إلى أصله وسمح بحرية الأنشطة الدينية.[5]

وفي أواخر أيامه أصيب النورسي بحمى شديدة، وعلى الرغم من ذلك فاجأ طلابه في إحدى لياليه الأخيرة بقوله: سنذهب! وعندما سأله طلابه إلى أين؟ أجابهم: إلى أورفة..، و أصر على الذهاب إلى

---

(1) انظر: واحدة، شكران، **الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 454.
(2) انظر: الصالحي، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: 78- 86.
(3) انظر: **المصدر السابق**، ص: 87.
(4) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 111.
(5) انظر: جرار، د.مأمون فريز (2017م)، **قضيا وتجليات في رسائل النور**، (ط1)، عمان: دار المأمون، ص: 24.

أورفة. فجهز له طلابه في الجزء الخلفي من السيارة سريرًا، وعندما وصلت السيارة إلى أورفة أخذوه إلى فندق كانوا حجزوه له مسبقًا. وهناك حدثت مشاكل بين ممثلي الحكومة والشرطة بناء على أمر وزير الداخلية في أنقرة، فقد أمرت الحكومة بنقل النورسي إلى إسبارطة، ولكن أهل أورفة رفضوا نقل هذا الرجل الضعيف العليل إلى أي مكان آخر، حيث تجمعوا حول الفندق وكانوا يزورونه دون انقطاع، وبخلاف عادته السابقة، استقبل النورسي كل من أتى لزيارته. وفي تاريخ 23 مارس 1960م، الموافق 25 رمضان 1379هـ، نام النورسي في هذا الليل ورحل عن هذه الحياة رحمه الله.[1]

وقد طلب الوالي أن يدفن النورسي في اليوم الذي توفى فيه، ولا يؤخر يومًا بعده لشدة زحام أورفة. ربما كان سبب إصرار النورسي على ذهابه إلى أورفة هو شعوره بأن قبره سيكون فيها. دفن بديع الزمان سعيد النورسي في أورفة. ولكن بعد مرور خمسة أشهر جاءت السلطات بأخيه إجباراً وطلب منه ثلاثة جنرالات أن يوقّع على طلب بنقل جثمان أخيه من قبره، ووقع أخوه مُجبراً على ذلك، ولما فتح القبر كان جسده كأنه توفي أمس على الرغم من مرور زمن طويل. ووضع جثمانه في طائرة حملته إلى أفيون، ثم نقل إلى إسبارطة، ودفن في مكان ما زال مجهولاً حتى الآن. كان بديع الزمان حريصاً على أن يرتبط الناس بالحقائق الإيمانية لا بشخصه هو، وكان يعرف طبيعة البشر وارتباطهم بقبور الصالحين، واتخاذها مزاراً، وفي كثير من المواقع الإسلامية شواهد على ذلك، ولذلك دعا الله ألا يعرف مكان قبره أحد، لكي لا يتخذه الناس مزاراً. وقد قبل الله دعاءه وحققه بيد الظالمين.[2]

يغادر العلماء هذه الحياة ولكنهم يتركون لنا علومهم وآثارهم، ولئن كان قبر بديع الزمان سعيد النورسي مجهولاً فإن أنوار آثاره موجودة، قد نشرت في أرجاء العالم.

المبحث الثالث: مكانته العلمية

المطلب الأول: عقيدته ومذهبه الفقهي

أولاً: عقيدته

إن عقيدة بديع الزمان سعيد النورسي منبثقة من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو عالم ومجاهد كبير في الدعوة إلى هذه العقيدة، فإن الناظر لرسائل النور يجد أن رسائل النور تتكون من عقيدة أهل سنة والجماعة، وتثبت أركان الإيمان في ضوء القرآن الكريم بأسلوبه الجديد والعقلي، بناء على

---

(1) انظر: واحدة، شكران، **الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي**، ص506-509.
(2) انظر: جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 109-110.

احتياجات هذا العصر كالإيمان بالله، وإثبات وجود الملائكة، وحكمة إرسال الرسل والكتب، وإثبات الحشر وتجليات أسماء الله تعالى في الكون، وشرح موضوع القضاء والقدر وحكمة دخولهما في المسائل الإيمانية، وغير ذلك من المسائل التي تتعلق بالحياة والأخلاق الاجتماعية.

ومن منطلق حرصه على مذهب أهل السنة والجماعة كان يردد دائمًا: إن النجاة والخلاص من مكايد الشيطان لا تكون إلا عن طريق الحق. اجعلوا مسيركم طريق الحق وهو طريق أهل السنة والجماعة. وادخلوا القلعة الحصينة القرآنية، واجعلوا رائدكم السنة النبوية تسلموا وتنجوا بإذن الله.[1] ويقول:" إن أهل الحق والاستقامة الذين يطلق عليهم (أهل السنة و الجماعة)، وهم يمثلون الغالبية العظمى في العالم الإسلامي، قد قاموا بحفظ حقائق القرآن والإيمان كما هي على محجّتها البيضاء الناصعة."[2] وفي مسألة الحسن والقبح يقول: "أصحاب الحق وهم أهل السنة والجماعة فيقولون إن الله سبحانه وتعالى يأمر بشيء فيكون حسناً، وينهى عن شيء فيكون قبحاً."[3]

ويقول أيضًا إنّ مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب وسط. ويضرب مثالاً على ذلك، فيقول في مسألة خلق الأفعال: مذهب أهل الحق وسط الجبر والاعتزال، لأن مذهب أهل السنة والجماعة: مذهب التوحيد وسط التعطيل والتشبيه.[4]

فعقيدة بديع الزمان سعيد النورسي لا شك هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد دافع عن هذا المذهب كما ذكرنا آنفاً، ولكن أفكاره وأسلوبه أقرب إلى مذهب الأشاعرة. وهذا مفهومنا لأني لم أجد كلاماً عن نفسه هو على هذا المذهب. إنه دائمًا يدعو إلى توحد أهل السنة والجماعة، والعقيدة كما يشرح لنا في رسائل النور هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وخاصة عقيدة الأشاعرة، والدليل على هذا يتجلى في مسألة خلق الشر، فشرحه يتفق مع شرح جمهور الأشاعرة، حيث يقول: " إن خلق الشر ليس شراً، بل كسب الشر شر، لأن الخلق والإيجاد يتطلع إلى جميع النتائج ويتعلق بها، بينما الكسب يتعلق

---

[1] انظر:النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **اللمعات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 110.

[2] النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **المكتوبات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 426.

[3] انظر:النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **الكلمات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 307.

[4] انظر: النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**،(تحقيق: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 31.

بنتائج خصوصية، لأنه مباشرة خاصة."[1] وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة عن هذا الموضوع في رسائل النور.

ثانيًا: مذهبه الفقهي

إن بديع الزمان سعيد النورسي لم يتطرق إلى الأحكام الفقهية من حيث شروط العبادات، والحلال والحرام لأن النورسي اهتم بتأسيس عقيدة سليمة لدى المسلمين وإصلاح المجتمع، على أساس الكتاب والسنة، ولكنه ألف أيضًا رسالة باسم رسالة الاجتهاد التي تتعلق بأصول الفقه.

"فالنورسي لم يستهلك طاقته الإبداعية في الفروع الفقهية وتفاصيلها، وإن نبّه على كثير من مسائل الشريعة؛ إذ خصص رسائله في الجملة لإنقاذ الإيمان، وشرح أصول العقيدة وتربية الجيل، والدعوة إلى تمثل الأخلاق لمواجهة الهدم الفكري والعقدي والأخلاقي؛ لأن المجتمع الذي يفقد أسس الإيمان وحرارة الانتماء، لا فائدة أن تحدثه تفاصيل الشريعة، فالقاعدة الإيمانية إذا تكونت فإن تطبيق أحكام الشريعة يأتي خطوة طبيعية نحو الوصول إلى المجتمع الذي يحكمه نظام الإسلام، فهو - رحمه الله- يريد أن يبدأ من الإيمان إلى التربية إلى الشريعة."[2]

وكان على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله. فلم يكن يقبل من أحدٍ صدقة ولا هدية. وعندما سألوه عن سبب ذلك قال: إن السبب المهم لرفض هدية الناس هو قول ابن حجر الموثوق حسب المذهب الشافعي، فهو يقول حرام قبول مال يوهب لك بنية الصلاح، إن لم تكن صالحًا.[3]

إن النورسي في منفى، ولذا فإن صلاة الجمعة لم تكن فرضًا عليه، لأن صلاة الجمعة فرض على الحر وليس على المنفيين. والنورسي كان دائماً تحت المراقبة، وكان ممنوعًا من الاختلاط بالناس، ولم يُسمح له بالخروج متى يريد. لهذه الأسباب، كان النورسي أحيانًا لا يذهب إلى صلاة الجمعة.

---

[1] النورسي، **المكتوبات**، ص: 53.

[2] عبدي، جابر حسين (2014م)، **النصوص: التفسيرية للشيخ بديع الزمان سعيد النورسي من خلال (كليات رسائل النور): جمعًا ودراسة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، السودان، ص: 16.

[3] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 17.

وحين كان يُقال إن سعيدًا لا يذهب إلى صلاة الجمعة، كان النورسي يوضح ذلك؛ إنني شافعي المذهب، وإن أحد شروط صلاة الجمعة حسب هذا المذهب هو أن يقرأ الفاتحة أربعون شخصًا مع الإمام. لذا فإن صلاة الجمعة لا تفرض علي هنا. ولكنني أصلي أحيانًا على المذهب الحنفي.[1]

المطلب الثاني: آثاره ومؤلفاته العلمية

قد وضع بديع الزمان سعيد النورسي تفسيراً للقرآن الكريم، وهو تفسير عقدي يسمى برسائل النور، وجعل النورسي كل مؤلفاته تحت هذا الاسم. وتدور موضوعات رسائل النور حول الأساسات الإيمانية والإسلامية، وتثبت وتوضح لنا الحكم التي فيها.

إن رسائل النور تفسير حقيقي للقرآن الكريم، فهي تفسر الآيات الكريمة لا بحسب ترتيبها، بل تفسرها بحسب الحاجات الموضوعية الإيمانية في هذا العصر؛ فالتفسير قسمان: قسم يفسّر لفظ الآية وعبارتها، والقسم الثاني يبين معناها وحقائقها، فرسائل النور واحدةٌ من أهم تفاسير القسم الثاني وأوسعها وأقواها.[2]

تزيد رسائل النور عن مئة وثلاثين رسالة، وهذه الرسائل تقع في تسعة مجلدات هي: الكلمات والمكتوبات واللمعات والشعاعات والمثنوي العربي النوري وإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز والملاحق وصيقل الإسلام وسيرة ذاتية.

يتكون كل مجلد من رسائل عديدة. وللرسائل موضوعات مختلفة. لأجل هذا سنبين المجلدات، وسنشرح الرسائل المهمة والرسائل المتعلقة بموضوع العقيدة.

1. الكلمات: تضم ثلاثًا وثلاثين رسالة، تتحدّث فيها عن الإيمان، والعبادات، والآخرة، والحشر، والجنة والنار، ووظيفة الإنسان في الدنيا، والإعجاز القرآني، والقضاء والقدر ووجود الملائكة وإثباتها، وغير ذلك.

رسالة الحشر: هي الكلمة العاشرة في مجلد الكلمات. هذه الرسالة تثبت الحشر بأسماء الله سبحانه وتعالى. لذا فإن لكل اسم مقتضيات، والمقتضيات الكبرى هي دوام أسماء الله، ودوامها يقتضي الحشر لكي يتجلى حقيقتها في الآخرة. وهكذا يثبت الحشر بكثير من أسماء الله تعالى.

---

[1] انظر: النورسي، **الملاحق**، ص: 236.
[2] انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص205.

رسالة المعجزات القرآنية: هي الكلمة الخامسة والعشرون. إن أعظم معجزة من معجزات الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم- هو القرآن الكريم. وقد أثبتت الكلمة الخامسة والعشرون مئات من دلائل النبوة والإعجاز في القرآن الكريم بأربعين وجهًا.[1]

رسالة القدر: هي الكلمة السادسة والعشرون، يشرح لنا مسألتين مهمتين، وهما؛ القدر والجزء الاختياري، ويحلل بعض أسرارهما في أربعة مباحث. ويقول المؤلف عنهما: إن القدر والجزء الاختياري، قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية. فالقدر ينقذنا من الغرور، والجزء الاختياري ينجينا من الشعور بعدم المسؤولية.[2]

رسالة الاجتهاد: هي الكلمة السابعة والعشرون، يقول النورسي في هذه الرسالة، باب الاجتهاد مفتوح، ولكن هناك ستة معانٍ لدخوله في هذا الزمان. ويشرح لنا المعاني الستة تلك.

الكلمة التاسعة والعشرون: هذه الكلمة؛ تختص بإثبات بقاء الروح والملائكة والحشر.

الكلمة الثلاثون: هذه الكلمة عبارة عن مقصدين، وهما؛ الأول: يبحث عن ماهية ال(أنا) ونتائجها. والثاني: يبحث عن حركة (الذرة) ووظائفها.

الكلمة الثانية والثلاثون: هذه الكلمة تفسير لأول لسان من خمسة وخمسين لساناً من ألسنة الموجودات الشاهدة على وحدانية خالقها سبحانه تعالى، وهي في نفس الوقت نفسه تفسير لآية: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء:22]

رسالة ثلاثة وثلاثين النافذة: وهي الكلمة الثالثة والثلاثون، تفتح للقارئين ثلاثة وثلاثين نافذة لمعرفة الله، وفي كل نافذة تثبت تجليات أسماء الله تعالى على مخلوقاته.

2. المكتوبات: تتكون المكتوبات من ثلاثة وثلاثين رسالة، فيها أجوبة لأسئلة كثيرة عن موضوعات مختلفة؛ مثل طبقات الحياة، وحكمة خروج سيدنا آدم من الجنة، والفرق بين الإسلام والإيمان، وموجودية الجنة والنار، وحكمة الموت، ومصير الأطفال الذين يموتون قبل سنّ التكليف في الآخرة، وإيمان أبي النبي - صلى الله عليه وسلم- وأمه وعمه أبي طالب، وغير ذلك.

---

[1] انظر: النورسي، بديع الزمان سعيد (2014م)، **المكتوبات (Mektubat)**، (ط11)، إستانبول: دار الأنوار، ص196.

[2] انظر:النورسي، **الكلمات**، ص: 532.

رسالة معجزات الأحمدية: هي المكتوب التاسع عشر، بيّن المؤلف في بداية هذه الرسالة قسمًا من أصول الحديث ثم نقل أكثر من ثلاثمائة معجزة من معجزات النبي، صلى الله عليه وسلم.

المكتوب العشرون: هذه الرسالة تشرح الإحدى عشرة كلمة المباركة التوحيدية، وهي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير وإليه المصير.

رسالة الأخوة: هي المكتوب الثاني والعشرون، هذا المكتوب يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة.[1]

3. اللمعات: تتكون اللمعات من ثلاث وثلاثين رسالة، تشتمل على موضوعات كثيرة؛ كسنة النبي - صلى الله عليه وسلم-، وأحوال المسلمين في الاجتماع، وحجاب النساء، والأسرة، والرد على الإلحاد، والدواء المعنوي للمريض، وأسماء إلهية، وغير ذلك.

رسالة منهاج السنة: هي اللمعة الرابعة، تتعلق بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم- ويشرح حقيقة مسألة الإمامة التي تزعم الشيعة.

رسالة مرقاة السنة وترياق مرض البدعة: هي اللمعة الحادية عشرة، بيّن المؤلف إحدى عشرة نكتة مهمة عن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم-، وأهم تطبيقاتها في الحياة البشرية.

رسالة حكمة الاستعاذة: هي اللمعة الثالثة عشر، تختص بحكمة الاستعاذة، وبعلاقة تفسير الآيتين التاليتين بهذا الموضوع. وهاتين الآيتين: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (.) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ [الأنبياء:97-98].

رسالة الاقتصاد: هي اللمعة التاسعة عشرة، "هذه الرسالة تحضّ على الاقتصاد والقناعة وتحذر من مغبة الإسراف والتبذير."[2]

---

[1] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 324.
[2] انظر:النورسي، **اللمعات**، ص: 193.

رسالة الإخلاص: هي تتكون من اللمعة العشرين واللمعة الحادية والعشرين. هاتان الرسالتان تتحدثان عن موضوع الإخلاص، حيث يدعو أهل الإيمان والأحزاب في الإسلام إلى الإخلاص، والعمل في سبيل الله.

رسالة الطبيعة: هي اللمعة الثالثة والعشرون، يذكر في هذه الرسالة ثلاث كلمات كفرية؛ أوجدته الأسباب، تشكل بنفسه، اقتضته الطبيعة، وقال المؤلف إن الكلمة الإيمانية الرابعة هي؛ إن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده. ويقول المؤلف إذا أثبتت استحالة هذه الكلمات الثلاثة فستبقى لدينا الكلمة الرابعة. وقد أثبت استحالة الكلمات الثلاثة الأولى فعلاً، مما يدلّ على وجود خالق الكون سبحانه تعالى.[1]

رسالة الحجاب: هي اللمعة الرابعة والعشرون، تثبت هذه الرسالة أن الحجاب أمر فطري للنساء وليس أسرًا وقيدًا لهن.

رسالة المريض: هي اللمعة الخامسة والعشرون، وهي خمسة وعشرون دواء، ووصفة معنوية للمرضى.

رسالة الأسماء الحسنى العظمى: هي اللمعة الثلاثون، يشرح فيها بعض من أسماء الله.

4. الشعاعات: هذا الكتاب يتكون من خمس عشرة رسالة، ويضم إثباتًا لأسرار الإيمان وثمراته، وأشراط الساعة، ومعرفة الله، وحقيقة الصلاة، وغير ذلك.

أشراط الساعة: هي الشعاع الخامس، ومسائلها؛ سد ذي القرنين، ويأجوج ومأجوج، والدجال والسفيان، وسائر أشراط الساعة.

الآية الكبرى: هي الشعاع السابع، ألف المؤلف هذه الرسالة بأسلوب عجيب، فجعلها تعبّر عن مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه، والكون يرد عليه بلسان حاله عن خالقه. يسأل السائح عن خالقه ابتداءً من السماء ثم من الفضاء والكرة الأرضية، والبحار والأنهار، والجبال والصحارى، والأشجار والنباتات، والطيور والحيوانات وغير ذلك، وكذلك يسأل القرآن الكريم عن خالقها، والنبي

---

[1] انظر:النورسي، **اللمعات**، ص: 247.

عليه الصلاة والسلام، وحتى يسأل الكون بأجمعه من خالقه. فيجيب الجميع، كلٌّ بلسانه، بأن خالقهم ومعبودهم هو الله سبحانه.

رسالة الثمرة: هي الشعاع الحادي عشر، وهي ثمرة من ثمار سجن دنيزلي. هذه الرسالة تمثّل دفاعًا عن الإيمان، وفيها إحدى عشرة مسألة؛ كحقيقة الصلاة والإرشاد الموجه للشباب، وإثبات وجود الله بلسان العلوم الحديثة، وإثبات الآخرة وثمرة الإيمان بالآخرة في الدنيا، وحكمة التكرار في القرآن، وإيمان بالملائكة، وغير ذلك تدور حول كثير من المواضيع.

رسالة الحجة الزهراء: هي الشعاع الخامس عشر، "هي فاكهة إيمانية وثمرة قرآنية فردوسية أينعت من الحياة التفكرية ".[1] وخاصة فيما يتعلق بالصلاة.

5. المثنوي العربي النوري: ألف المؤلف هذا الكتاب باللغة العربية، وشرح فيه مواضيع كثيرة من مواضيع الإيمان، فكان خلاصة لرسائل النور.

6. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ألف المؤلف هذا الكتاب في الحرب العالمية الأولى باللغة العربية، "وهو تفسير يتناول إعجاز النظم في القرآن الكريم، (في سورة الفاتحة، والآيات الثلاثة والثلاثين الأولى من سورة البقرة)."[2]

7. الملاحق: عبارة عن مجموعة مكاتبات جرت بين بديع الزمان سعيد النورسي وطلابه الأوائل. يبين فيها أهمية رسائل النور ومنهجها في الدعوة إلى الله، ويبين فيها طلابه استفادتهم المعنوية والروحية. وتتضمن الملاحق ثلاثة كتب مستقلة، وهي: ملحق بارلا، وملحق قسطموني، وملحق أميرداغ.[3]

---

[1] النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **الشعاعات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 595.
[2] جرار، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، ص: 26.
[3] انظر: عثامنه، هبه عدنان (2014م)، **العلاقات الأسرية في فكر النورسي: دراسة تربوية تحليلية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص: 25.

8. صيقل الإسلام: هذا الكتاب يتكون من مؤلفات النورسي القديمة التي ألفها قبل تأليفه رسائل النور، فهذا الكتاب يمس الحياة الاجتماعية والسياسية والعلاجات النافعة لهما. وله قيمته التاريخية لأنه يتحدث عن الحوادث في الفترة التي عاش فيها النورسي.[1]

9. سيرة ذاتية: هذا الكتاب يتضمن السيرة الذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، وكلامه نفسه عن حياته والكلام الذي قاله طلابه عن حياته، ويتكون من بعض الرسائل الإيمانية.

---

[1] انظر: النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **صيقل الإسلام** ، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 5.

الفصل الأول: منهج النورسي في إثبات وجود الله

المبحث الأول: إثبات وجود الله عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: مفهوم وجود الله

إن الله تعالى يتصف بكل صفات الكمال، فهو – سبحانه وتعالى- منزه عن جميع صفات النقص. وصفة الوجود هي الصفة النفسية الذاتية.

الوجود لغةً: "ضد العدم وهو ذهني وخارجي".[1] فإذًا كل شيء في العالم له وجود، أي إنه موجود.

نرى من هذا التعريف أن صفة الوجود تستخدم لله تعالى وتستخدم أيضاً لجميع الموجودات، فما الفرق بين وجود الله ووجود الموجودات سوى الله؟

إن وجود الله لا يشبه وجود المخلوقات، لأن وجود الله هو وجود كامل ذاتي، أي موجود لذاته لا لعلة مؤثرة فيه. وهو الموجود لذاته دون أن يحتاج إلى موجد يوجده، ومن خصائص الوجود الكامل أنه لا يقبل العدم ، أي أنه قديم ليس حادثًا، وأنه باق ليس فانيًا. وقد سماه العلماء لهذه الصفة بواجب الوجود للتفريق بين وجود الله ووجود المخلوقات.[2]

والمفهم الوجوب: هو" استغناء الشيء بذاته عن غيره، ويلزم عدم التوقف على الغير".[3] فإذن واجب الوجود هي صفة لله تعالى وحده.

والمفهوم من واجب الوجود، قد سبق الواجبَ ما لا يتصوَّر العقل عدمه بحال من الأحوال، لا في السابق ولا في اللاحق، فالعقل لا يتصور عدم وجود الله تعالى، فصفة واجب الوجود هي صفة خاصة بالله تعالى.

إن الله تعالى لا يستند وجوده إلى علة، والعلة هي؛ سبب، فالموجودات كلها، سوى الله، يستند وجودها إلى علة، وعلة وجود أصل الموجودات هو الله تعالى، لو قلنا لوجود الله علة لاحتاجت العلة إلى علة، أي لاحتاج إلى موجدٍ، واحتاج موجده إلى موجدٍ، وهكذا إلى ما لا نهاية، وهذا مستحيل،

---

[1] أنيس، إبراهيم وغيرهم (2004م)، **المعجم الوسيط**، (ط4)، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ص1013.
[2] انظر: الغزالي، الإمام محمد أبي حامد محمد بن محمد(ت 505هـ)، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ط1، (شرح وتحقيق: الدكتورة إنصاف رمضان)، دار قتيبة، دمشق، 2003م، ص: 31-38.
[3] فودة، د.سعيد عبد اللطيف (2016م)، **الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة**، (ط1)، منشورات الأصلين، ص151.

وقد يكون لا مفر من أحد أمرين: إما أن نقول: الكون غير موجود، وهذا باطل، أو نقول: وجوده لا يحتاج إلى موجِد، وهو الله سبحانه تعالى، وأن وجود الله تعالى لذاته ووجود غيره لغيره، أي بسبب غيره. والقصد بأن الله تعالى واجب الوجود يعني أن وجوده ليس له علة، أي وجوده لذاته، أي هو قديم ليس حادثًا.[1]

ووجود كل ما سوى الله هو وجود ناقص أو ممكن الوجود، وهو الذي لا وجود له لذاته ولا عدم لذاته، أي وجوده مستمد من غيره، لو يوجد فإذاً أوجده موجِد، لو يبقى عدماً فإذاً لم يوجد مسبب لوجوده. ومن خصائص الوجود الممكن أنه يقوم بين عدمين: عدم سابق قبل وجوده، وعدم لاحق بعد فنائه. وإن وجود هذا العالم إما أن نقول يوجد هو نفسه وهذا محال؛ لأن العدم لا ينتج الوجود، وإما نقول أن يخلقه الله تعالى، وهذا أمر صحيح ومعقول.[2] وقال الله تعالى عن هذه الحقيقة: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (.) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) [الطور: 35-36].

المطلب الثاني: إثبات وجود الله عند السلف

إن مسألة إثبات وجود الله تعالى والإيمان به، هي مسألة مهيم في الإسلام. لذا فإن كل طائفة من طوائف المسلمين تسعى جاهدةً لاستحضار الأدلة والشواهد التي تدل على وجود الله.

وسلف الأمة هم الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين وعلى التابعين وتابعي التابعين ومن والاهم وسار على هَدْيهم إلى يوم الدين، وقد تحدّثوا عن أدلة وجود الله مستندين إلى ما ورد في القرآن والسنة من أدلة قاطعة، سنبينها فيما يلي:

الدليل الأول: دليل الفطرة

الفطرة بمعنى الابتداء والاختراع ... كما جاء في الآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [فاطر:1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها. أي: أنا ابتدأت حفرها.[3]

---

[1] انظر: القضاة، نوح علي سلمان(1999م)، **المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد**، عمان: دار الرازي، ص: 50-53.

[2] انظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص: 31-39.

[3] ابن الجوزي، أبي فرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي(ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، (خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين)، الدار العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص: 10.

والفطرة هي: الخلقة التي يكون عليها كل موجود أوّل خلقه، جاء في التنزيل العزيز: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم:30]. والفطرة السليمة هي؛ استعداد تمييز إصابة الحكم بين الحقّ والباطل.[1]

والفطرة هي ما فطر الله عليه مخلوقاته من معرفة به، والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت، فإن مات مات على الفطرة).[2]

قال الحافظ ابن حجر : "وقوله على الفطرة؛ أي على الدين القويم ملة إبراهيم، فإنه عليه السلام أسلم واستسلم ..."[3]

إن تعلق الفطرة بمعرفة الله هو مقتضى العلم الضروري الموجود في نفس الإنسان، بحيث لا يحتاج في ذلك إلى النظر والاستدلال. والشعور الفطري هو الدليل إلى معارف العلوم؛ كالشعور بالألم والجوع والعطش والوجدان وغير ذلك، فنحن نشعر بكل ذلك ولا نحتاج إلى دليل نبرهن عليه. وكذلك شعورنا الفطري بوجود الله لا يحتاج إلى دليل. وهذا الشعور مشترك عند كل الناس، طفل أو كبير، عالم أو جاهل، رجل أو امرأة ... كل هؤلاء يشعورن بشعور مشترك وهو أن الله موجود وأنه حق.[4]

هذا الشعور الفطري الصادق فينا، يجعل الإنسان يشعر بوجود الخالق، فهذه الفطرة الوجدانية قائمة في الأنفس المدركة، قال الله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [البقرة:138].[5]

---

(1) انظر: **المعجم الوسيط**، ص: 694.

(2) البخاري (ت 256هـ/ 810م)، **صحيح البخاري**، ط1، (المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، بيروت، بدون التاريخ، رقم الحديث: (247) و(6311) و(6313) و(6315)؛ مسلم (ت 261هـ/875م)، **صحيح مسلم**، (المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون التاريخ، رقم الحديث: (2710).

(3) ابن حجر العسقلاني(ت 852هـ/1449م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 11م،(عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز)، دار المعرفة، بيروت، 1379م ، (رقم الحديث: 6311)، ص: 111.

(4) انظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص: 32.

(5) انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة(2012م)، **العقيدة الإسلامية**، (ط16)، دمشق: دار القلم، ص: 88.

إن معرفة الله تعالى متعلقة بوجوده المطلق الكامل، وهذا المعرفة ليست استدلالية نظرية، إنما هي فطرية ضرورية. والحقائق الضرورية لا يمكن الاستدلال عليها بمقدمات نظرية لأنها ضرورية.[1]

إن الأدلة على الفطرة كثيرة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: 172].

"فاللآية تؤكد أن الإنسان يشهد على نفسه بالإقرار بربوبية الله تعالى، والناس حين خلقوا على الفطرة خلقوا معترفين بوجود الله شاهدين على أنفسهم أنه ربهم وخالقهم..."[2]

وقوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: 30].

إن الإنسان يولد مقراً بوجود الله تعالى كما جاء في الحديث: (كل مولد يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء.)[3]

هذه الفطرة هي فطرة الإسلام، لأن الحديث قال: أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ولم يقل يجعلانه مسلماً.

ومن معانى الفطرة دين الإسلام، وهو معروف عند عامة السلف؛ أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذ الله على أبناء آدم، وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدرك الحق والباطل فيدخل في الجنة أولاد المسلم أو أولاد الكفار لا فرق بينهم.[4]

---

(1) انظر: القرني، د.عبد الله بن محمد (201م)، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، (ط4)، جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ص210.

(2) باكر، عاصم الدين أحمد محمد(2000م)، **منهج ابن تيمية في إثبات وجود الله ورأيه في أدلة الفلاسفة والمتكلمين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، ص: 136.

(3) أخرجه **البخاري**(1359) و(1385)؛ **مسلم** (2658).

(4) انظر: ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **مجموعة الرسائل الكبرى**، ط2، 2م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1976م، ص334.

وإذا قيل : إن الإنسان ولد على فطرة الإسلام. فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه كان مزودًا بمعرفة هذا الدين، يقول الله تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) [النحل: 78]. ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته.[1]

يرى ابن تيمية أن الفطرة مشترك بين الأمم. فقد تلاحظ أنه ما من أمة أو حضارة إلا ولها دين وآلهة تعبدها، والإقرار بالإله الخالق من الضروريات الفطرية.[2]

وقد يقال هنا: لو كان التوجه إلى الله أمراً فطرياً فلماذا للناس في مختلف العصور آلهة شتى؟

والجواب: إن الفطرة توجه المرء إلى اتجاه الخالق، ولكن الإنسان يتأثر بتأثرات كثيرة قد تجعله ينحرف حينما يتجه إلى المعبود الحق. من ذلك ما يغرسه الآباء في نفوس الأبناء، وما يؤثر من بيئته عليه.[3]

وشياطين الإنس والجن يقومون بدور كبير في إفساد الفطرة وتدنيسها، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا).[4]

الدليل الثاني: الدليل الحدسي

الحدس هو "إدراك شيء مباشر."[5] وهو "سرعة انتقال الذّهن من المبادئ إلى المطالب، ويقابله الفكر."[6]

---

(1) انظر: باكر، **منهج ابن تيمية في إثبات وجود الله ورأيه في أدلة الفلاسفة والمتكلمين**، ص: 152.
(2) انظر، ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **الرد على المنطقيين**، دار ترجمان السنة، باكستان، 1976م، ص430.
(3) انظر: الأشقر، أ.د.عمر سليمان عبد الله(2004م)، **العقيدة في الله**، (ط15)، عمان: دار النفائس، ص: 78.
(4) **صحيح مسلم**: 4/ (2197) و(2865).
(5) **المعجم الوسيط**، ص: 161.
(6) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف(ت 816هـ/1413م)، **معجم التعريفات**، (تحقيق: محمد صديق المنشاوى)، دار الفضيلة، القاهرة، بدون التاريخ، ص74.

الدليل الحدسي على وجود الله هو الشعور الدائم بالله والصلة بين الإنسان وخالقه، ويحتاج الناس إليه كما يحتاجون إلى الغذاء والماء أو الحياة والروح. فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بدونها، وكذلك لا يستطيع أن يعيش بدون الإيمان بالله ومعرفته.

قال السيوطي في كتابه: "الإيمان نور يقذفه الله في قلب عبده عطية وهدية من عنده"[1] نعم إن الإيمان نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده، فالإيمان نور ينور الوجدان بتمامه.[2]

إن الاعتقاد بوجود الله من الأمور البديهية التي تدرك بالحدس النفسي قبل الدليل العقلي. فهو لا يحتاج إلى دليل لأنه موجود في نفس الإنسان. ونستدل على هذا بآية قرآنية، قال الله تعالى: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: 21]. وفي قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: 53]. فنحن نشعر بقلوبنا بوجود الله، ونلجأ إليه في أوقات الشدائد والملمّات، بغريزة التدين فينا، ونرى أدلة وجود الله فينا؛ فالعقل الباطن يؤمن بوجوده بالحدس، والعقل الواعي يؤمن بوجوده بالدليل.[3]

ويرى ابن تيمية أن أفضل أعمال القلوب هي الأنس بالله، ولذلك نجده يقول: "إن اللذة والفرحة والسرور، وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه، إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والإيمان به".[4]

ينقل ابن تيمية أقوال العلماء الذين يستدلون على وجود الله بالدليل الحدسي، أنقل من عبد الله بن عباس رضي الله عنه: قيل لابن عباس: بماذا عرفت ربك؟ فقال: من طلب دينه بالقياس، لم يزل دهره في التباس، خارجًا عن المنهاج ظاعنًا في الاعوجاج، عرفته بما عرف به نفسه، ووصفته بما وصف به نفسه. وقال ابن تيمية عن هذا الكلام: (فأخبر أن معرفة القلب حصلت بتعريف الله وهو نور الإيمان وأن وصف اللسان حصل بكلام الله وهو نور القرآن). وأنقل قول الشيخ إسماعيل الكواني الذي قال

---

(1) السيوطي، جلال الدين(ت 911هـ/ 1505م)، **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام**، ط1، (تحقيق: أحمد فريد المزيدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1970م، ص: 160.
(2) انظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص: 49.
(3) انظر: الطنطاوي، علي(2017م)، **تعريف عام بدين الإسلام**، (ط7)، جدة: دار المنارة، ص: 68-70
(4) ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **رسائل من السجن**، ط4، (جمع: محمد العبدة)، دار الطيبة، الرياض، 1986م، ص31.

لأحد المتكلمين: (أنتم تقولون: إن الله يعرف بالدليل. ونحن نقول إنه تعرف إلينا فعرفناه) يعني أنه تعرف بنفسه وبفضله.[1]

الدليل الثالث: الدليل العقلي (كل مخلوق لا بد له من خالق)

دلالة العقل على وجود الله بدهية؛ فالمخلوقات لها سابق ولاحق، ولا بد لها من خالق أوجدها، لأنها لا يمكن أن تكون أوجدت نفسها بنفسها من العدم.

وقد تقرر في العقل أن الموجود لا بد من سبب لوجوده، ويعرف عند العلماء باسم قانون السببية. وهذا القانون يقول: إن شيئًا من الممكنات لا يحدث بنفسه من غير شيء آخر. فمثلاً إذا رأينا حجرًا كان في ساحة البناية ثم انتقل إلى أعلاها، فإننا نعرف بأنه لم ينتقل بنفسه، بل لا بد من شخص رفعه ونقله؛ فالحجر ليس لديه خاصية الحركة والصعود.[2]

وكذلك فإن الموجودات ليس لها خاصية تمكنها من إيجاد نفسها، إذن لا بد للموجودات من سبب أو مؤثر قد أوجدها، فهو لا شك الذات الذي ليس قبله شيء ولا يؤثر عليه شيء، إنه الله سبحانه تعالى.

الدليل الرابع: الآيات القرآنية

ذكرنا أدلة على وجود الله آنفاً، كدليل الفطرة والحدس والعقل وكلها تقرّ بوجود الخالق فقط. ولكن الآيات القرآنية تثبت وجود الله إثباتاً قطعياً، وتصفه بصفات الكمال، ولذلك فإن أهم دليل لإثبات وجود الخالق هو دليل الآيات القرآنية.

فالقرآن يعرّفنا بوجود الله من خلال آيات الكون، لأن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح الذي يُقرأ بكل اللغات، ومن الممكن أن يفهمه كل البشر؛ الفقير أو الغني، ساكن الكوخ أو ساكن القصور، الأبيض أو الأسود، كل منهم يطالع بقدر إدراكه واستعداده، وهو صفحة مفتوحة في كل آن. (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) [ق:8].[3]

يتخذ القرآن من الآيات الكونية دليلاً يناقش به المشركين ويقيم بها الحجة عليهم. جاء في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ

---

(1) انظر: ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **مجموع الفتاوى**، 2م، (المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1995م، ص: 18-19.
(2) انظر: الأشقر، **العقيدة في الله**، ص: 81-82.
(3) انظر: الأشقر، **العقيدة في الله**، ص: 119.

حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (.) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (.) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (.) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء: 30-33].

ويخاطب المشركين الذين اتخذوا آلهة من دون الله: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (.) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (.) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (.) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (.) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (.) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (.) [النمل: 59-64].

إن الآيات تبين عدم صلاحية الآلهة المدعاة للعبادة، فالله هو وحده خالق المخلوقات، المنزل الماء من السماء، والمنبت الحدائق، وهو الذي جعل الأرض قراراً وخلق فيها أنهارًا وبحارًا، وثبتها بالجبال. فهو المعبود الحق، وأما غيره فلا يستطع أن يفعل شيئًا بدون إذن الله، ولا يستحق أن يعبد من دونه.[1]

وفي قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:21-22].

والآيات القرآنية كثيرة عن هذا الموضوع، وتثبت وجود خالق الكون إثباتًا قطعيًا، فلأجل هذا لا نريد أن نطيل الموضوع.

الدليل الخامس: معجزة الرسل

الدليل الأعظم على صدق الرسل، لا شك، هو المعجزة؛ فقد أيّد الله الرسل بالمعجزات التي يعجز البشر أن يأتوا بمثلها، لأنها خارقة للعادة. فالمعجزة هي من طرف خالق الكون أعطاها لعبده المرسل

---

[1] انظر: الأشقر، **العقيدة في الله**، ص: 115.

لإثبات صدقه، فحين يثبت أن الرسول صادق، وهو مرسل من عند الله، فيكون ذلك دليلًا على وجود الخالق الذي أرسل الرسول.

" المعجزة بحد ذاتها تصديق من رب العالمين لدعوة رسوله الكريم، أي كأن المعجزة تقوم مقام قول الله: صدق عبدي فأطيعوه."[1]

وقد تنوعت معجزات الأنبياء بسبب تنوع واختلاف الأمم، "وكان كل نبي يأتي إلى قومه فيدعوهم إلى الله، فإذا عاندوه أتاهم بالمعجزات الخارقة ليصدق دعوى النبوة، ويقيم الحجة على المعاندين.."[2]

جاء كل نبي بالمعجزات التي كان قومه متطورين في مجالها، فقد جاء سيدنا موسى -عليه السلام- بمعجزة السحر كما جاء في قول الله تعالى: (قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (.) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (.) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (.) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (.) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (.) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) [الأعراف: 115- 120].

وفي عهد عيسى -عليه السلام- تطور بنو إسرائل في الطب، فجاءت معجزاته تتحداهم في مجال الطب: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) [المائدة: 110].

وفي زمن نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- اشتهر العرب بالفصاحة والبلاغة والشعر، فكانت معجزته الكبرى هي القرآن الكريم. فتحداهم الله – سبحانه- أن يأتوا بمثل القرآن، فعجزهم لم يستطيع أحد منهم يأتي بمثله: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء:88]. و(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [هود: 13].

---

[1] النورسي، **المكتوبات**، ص: 118.
[2] باكر، **منهج ابن تيمية في إثبات وجود الله ورأيه في أدلة الفلاسفة والمتكلمين**، ص: 181.

فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: 23].

وكذلك كانت الحال بالنسبة لجميع الرسل، فقد حيّرت معجزاتهم أقوامهم، لتثبت لهم أنها من عند الله، ولتكون دليلاً على وجوده - سبحانه وتعالى- وعلى وحدانيته.

المطلب الثالث: إثبات وجود الله عند المتكلمين

يقرر أكثر المتكلمين - من المتقدمين والمتأخرين – وخاصة الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة أن الدليل العقلي مقبول في مسائل العقيدة. ومعلوم أن المتكلم يتخذ المسائل السمعية أساسًا للعقيدة ثم يبني عليها أدلته العقلية، فيمكن القول إن علم الكلام يعتمد على العقل والنقل جميعًا. ويقرر الأشاعرة، أن جملة الطرق التي تدرك بها العلوم تنحصر في خمسة: العقل والكتاب والسنة والإجماع والقياس. ويقرر الماتريدي، أن للأصل الذي يعرف به الدين، وجهين: أحدهما السمع والآخر العقل.[1]

اعتمد المتكلمون عدة طرق لإثبات وجود الله – تعالى- ولكنهم سلكوا في منهجين أساسيين هما: منهج أو دليل الإمكان، أي إمكان الممكن، وأن له صانعًا هو الله تعالى. وأما الثاني فهو دليل حدوث العالم، وهو إثبات حدوث العالم، وأن له محدثًا أحدثه هو سبب وجود جميع الموجودات، وهو الله تعالى.[2]

1. دليل الإمكان

بحث العلماء المسلمون عن دليل إثبات خالق العالم للرد على أهل الشبهات والمنكرين، فكانت مسألة الإمكان دليلًا مهمًا على وجود الله – تعالى- عند المتكلمين من أهل السنة وغيرهم.

إن الممكن هو الذي يكون العدم والوجود بالنسبة إليه على التساوي، ولا يكون الشيء الذي يخرج من العدم ويدخل إلى الوجود إلا بعد أن يصير وجوده راجحًا على عدمه، وذلك الرجحان يجب أن يكون مسبب آخر، ويلزم وجود الآخر المؤثر، وبذلك يثبت أن كل ممكن فهو يحتاج إلى المؤثر.[3]

---

(1) انظر: الشافعي، د.حسن محمود (2001م)، **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، (ط2)، كراتشي(باكستان): إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ص: 127-128.

(2) انظر: أبو عاقلة، فتح الرحمان يوسف عمر(1999م)، **منهج القرآن الكريم في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، السودان، ص: 65.

(3) انظر: فودة، **الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة**، ص256.

إن الكلام بأن العالم ممكن يعنى أنه يحتمل العدم والوجود، أي أن العالم من صنف الممكنات، فيصح في الأذهان وجوده وعدمه، فالموجود ينتقل من حال العدم إلى حال الوجود. والذي يتغير من حال إلى الحال الأخرى ليس أزلياً، بل هو حادث مخلوق. فلو قيل: إن العالم وجد بذاته دون مؤثر يكون هذا الكلام باطلًا، لأن العدم لا ينتج الوجود، ويجب للموجود أن يخرج من العدم إلى الوجود ليكون موجوداً، فهذا التغير يوجب الترجيح، ولا يمكن الترجيح في حال العدم، لأن العدم ليس له أية صفة. وهذا يثبت أن الموجود لا يمكن أن يوجد نفسه بنفسه، بل أوجده الخالق الأزلي والأبدي.[1]

فالموجودات إما يستحيل وجودها وإما أن يكون ممكنًا، وعند الإمكان لا بد لها من مرجح، وما لم يكن موجوداً فإنه لا يمكن وجوده بذاته ليكون موجوداً، فإذا وجب وجوده لذاته كان واجباً لا ممكناً. من هنا نتوصل إلى دليل إمكان المعدم إلى الوجود بواسطة واجب الوجود وهو الله تعالى. والحاصل أن هذا المرجح للإمكان هو واجب الوجود بذاته، وواحد أحد، وهو الله - سبحانه وتعالى- المسبب لكل الأسباب والمرجح لكل موجود.[2]

ومن ناحية أخرى: فإن كل شيء في الكون يحتمل أن يكون على أوضاع كثيرة غير الوضع الذي هو عليه؛ فإن العقل لا بد أن يحكم بأن ما كان كذلك فلا بد له من مخصص خصه باحتمال موافق للحكمة، وحيث ثبت عقلاً احتياج هذه الممكنات إلى المخصص الحكيم؛ فإن عقولنا تحكم بشكل قاطع: أن هذا المخصص يجب أن لا تكون ذاته من الاحتمالات الممكنة التي تتعرض لها هذه الأشياء الكونية الممكنة في نظر العقل. وهذا المخصص هو الله – سبحانه وتعالى- الواجب الوجود والواحد الأحد.[3]

2. دليل الحدوث

اهتم المتكلمون بدليل الحدوث، وذلك لاعتقادهم بأن العالم حادث، والحدوث هو الوجود بعد العدم. واتفق المتكلمون على أن حدوث العالم أعظم دليل على وجود محدِث.

وهذا الدليل ينبني على مقدمتين؛

الأولى: العالم حادث.

---

(1) انظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص: 42-49.
(2) انظر: أبو عاقلة، **منهج القرآن الكريم في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته**، ص: 67.
(3) انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة(2012م)، **العقيدة الإسلامية**، (ط16)، دمشق: دار القلم، ص: 117.

الثانية: كل حادث لا بد له من محدِث.

النتجة: العالم لا بد له من محدِث أحدثه، وهو الله، سبحانه وتعالى.

اعتمد المتكلمون في إثبات وجود الخالق على دليل حدوث العالم، فهم أولًا يجب أن يثبتوا حدوث العالم، فأما إثبات حدوث العالم فيستند إلى إثبات عدة أمور، هي: أولاً: إثبات الأعراض وقيامها بالجواهر، ثانيًا: إثبات حدوث الأعراض، ثالثاً: إثبات استحالة خلو الجواهر من الأعراض، رابعاً: إثبات امتناع الحوادث لا أول لها، خامساً: إثبات أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.[1]

والمراد بالعالم : كل موجود سوى الله تعالى، أي كل الأجسام كلها وأعراضها.

إن كل موجود إما أن يكون متحيزاً (أي؛ له حجم) وإما غير متحيز. فالمتحيز ينقسم إلى قسمين، وهما؛ الأول: جوهر، والثاني: جسم. وغير المتحيز هو أيضًا ينقسم إلى قسمين وهما؛ الأول: الأعراض التي تقوم في جسم، والثاني: الله الذي لا يقوم في جسم.

إن العالم يتكون من الجواهر والأعراض، أن الجواهر هي: جمع الجوهر، وهي كل شيء مستقل قائم بذاته مثل: (الأجسام، والأرواح).

والجواهر تنقسم إلى قسمين:

أ- جوهر فرد: وهو الموجود الذي لا يقبل التجزئة، أي: هو الجزء الذي لا يتجزأ في الحوادث.

ب- الجسم: هو الموجود المركب من جوهرين مفردين أو أكثر، ويقبل التجزئة.

فالأعراض: هي جمع العرض، وهو ما يقوم بغيره ويحتاج إلى شيء آخر يقوم به. ووجوده تابع لوجود الجوهر، أي يقوم به. مثل: (الألوان والهيئات، والروائح، والحركة والسكون).[2]

والأعراض حادثة، والدليل على حدوثها أنها موجودة بعد أن لم تكن، وإن هذا التغير هو دليل حدوثها، مثال ذلك التغير في حركة الأجرام أو مراحل خلق الإنسان.[3]

---

(1) انظر: نور، خالد بن عبد اللطيف بن محمد(1995م)، **أهل السنة والجماعة و منهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى**، (ط1)، المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ص: 354-355.

(2) انظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص: 46.

(3) انظر: أبو عاقلة، **منهج القرآن الكريم في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته**، ص: 64-68.

استدل الأشاعرة على حدوث العالم بالقرآن الكريم، وقد ذكر الرازي هذا الدليل في قصة إبراهم الخليل -عليه السلام- التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (.) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (.) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (.) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (.) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: 75-79]. فلما قال إبراهم: (لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) قالوا: الأفول هو الحركة والانتقال من حال إلى حال أخرى. أي إن سيدنا إبراهيم قد أدرك أن النجوم والقمر والشمس كلها حادثة، والحادث لا يكون إلهًا. ولكل حادث محدث، فالخالق هو الذي خلق النجوم والقمر والشمس جميعاً.[1]

كل متغير لا يكون قديمًا، وذلك أن التغيرهو مفارقة حال كان عليها المتغير قبل تغيره، والقِدَم ينفي التغير. فإذن كل متغير حادث، وهذا التغير دليل على حدوثه.

فالطريق المعتمد عند المتكلمين هو النظر في العالم من جهة التغير للوصول إلى إثبات حدوثه. فإن أثبتنا حدوثه، نثبت أن له محدثًا أحدثه. وتبعًا لذلك فإنه من المستحيل أن يكون هذا المحدِث من جنس العالم.[2]

لو كان الله – تعالى- متحيزًا، أي من جنس العالم لكان مماثلًا لسائر المتحيزات في تمام ماهيته، لأنه لو كان متحيزاً لكان مساوياً لسائر المتحيزات، ولو كان جسماً لكان مؤتلف الأجزاء. إن كل مركب يكون مفتقرًا إلى جزئه وجزء غيره، فهو مفتقر إلى غيره، فلو كان واجب الوجود متحيزًا لكان مفتقراً إلى غيره وهذا محال.[3]

وقد شرح الأشعري في كتابه اللمع أن تغير الإنسان هو دليل على أن واجب الوجود يغيره؛ إن سأل سائل ما الدليل على أن للخلق صانعاً صنعه ومدبرًا دبره؟ قيل له: إن الدليل على هذا أن خلْق الإنسان هو في غاية الكمال؛ فقد كان نطفة ثم علقة ثم كان اللحم والعظام، والإنسان لم ينقل نفسه من حالٍ إلى حال، لأنه عاجز لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعًا وبصرًا ولحمًا وعظامًا، ولا يخلق لنفسه شيئًا

---

(1) انظر: الرازي، فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين(ت 606هـ)، **التفسير الكبير**، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ص: 40.
(2) انظر: فودة، **الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة**، ص225.
(3) انظر: الرازي، فخردين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين(ت 606هـ)، **أساس التقديس في علم الكلام**، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، بدون التاريخ، ص: 35-38.

من جوارحه. ونرى في هذا المعجزة أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام، لا بدّ له من محدِثٍ أحدثه، وأوجده في أحسن صورة، وهو الله تعالى واجب الوجود.[1]

وقال البغدادي: "إذا لم يصح حدوث كتابة إلا من كاتب ونسج إلا من ناسج وبناءٍ إلا من بان كذلك لا يصح وقوع حادث إلا من محدث." وقال أيضًا: "يستحيل من المعدوم إحداث نفسه، لاستحالة كون المعدوم فاعلًا، وإذا حدث، فحدثه يغنيه عن إحداث نفسه، فبطل إحداث نفسه، وصحَّ أن محدِثه غيره."[2]

انحرفت بعض الطوائف من هذه الأمة، مثل بعض الفلاسفة، انحرافاً شديدًا في مسألة قِدم العالم، فهم يعتقدون أن العالم قديم، ولكل موجود سبب، أي إنه يأتي بالتسلسل إلى الوجود. وهذا الاعتقاد باطل؛ لأنه لإثبات الصانع القديم لا بد من إثبات حدوث العالم، وأنه يحتاج إلى محدِث لكي لا يقع في التسلسل الذي أثبت المتكلمون بطلانه، وفيما يلي إثبات لبطلان التسلسل:

المقصود بالتسلسل: هو أن المخلوقات متوالدة عن بعضها إلى ما لا نهاية، بحيث يكون كل منها نتيجة لما قبله، ويكون القبل سببًا لما بعده، دون أن تنبع هذه التسلسلية من قدرة الواجب الوجود. بمعنى نفي سببية التأثير على المخلوقات عن الخالق، سبحانه وتعالى. وهذا الاعتقاد باطل بالعقل، لأن كل المخلوقات ممكنة، والممكن ليس لديه أي تأثير. فالسلسلة تعني أن كلًا منها أوجد الحلقة السابقة، وهذا باطل لأنه لا بد من مؤثر خارجي خلق أول حلقة من السلسلة في بدايتها، وللانتقال من حلقة إلى حلقة أخرى لا بد من مؤثر أوجد الحلقة الأولى، وهو واجب الوجود الواحد الأحد. إن فرض التسلسل منقوض بالمشاهدة، لأننا نعلم أن أنواعًا من المخلوقات قد انقرضت وانتهت، ولو صح أن المخلوقات تتسلسل إلى ما لا نهاية، لما انقرضت هذه الأنواع. فهذا إخلال يثبت أن التسلسل مزعوم بطبيعته.[3]

فالتسلسل إلى ما لا نهاية محال، ولكن من حكمة الله – تعالى- أنه خلق كل الموجودات في سلسلة يكون بعضها سببًا للبعض الآخر، ولكن هذا السلسلة لها نهاية، وهذه النهاية تكون بفعل مسبب الأسباب، سبحانه وتعالى. قال الشهرستاني في كتابه: "فالفعل يستند وجوده إلى القدرة، والقدرة يستند وجودها

---

[1] انظر: الأشعري، أبو الحسن (ت 324هـ/ 936م)، **كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، (صححه وقدم له: د. حمودة غرابة)، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون مكان، 2015م، ص: 17-19.

[2] البغدادي، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي(ت 429هـ/1037م)، **أصول الدين**، ط1، مطبعة الدولة، استانبول، 1928م، ص: 69.

[3] انظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص: 42-43.

إلى سبب آخر تكون نسبة القدرة إلى ذلك السبب كنسبة الفعل إلى القدرة. وكذلك يستند سبب إلى سبب آخر حتى ينتهي إلى مسبب الأسباب. فهو الخالق للأسباب ومسبباتها."[1]

ومسألة الدور باطلة أيضًا كمسألة التسلسل، فالدور هو؛ أن الشيء يتوقف وجوده على وجود شيء آخر، وأن هذا الشيء الآخر متوقف وجوده على الشيء الأول. فكل منهما أوجد الآخر. وهذا باطل عقلاً؛ لأنه لا بد من موجود واجب الوجود لا يتوقف وجوده على وجود شيء آخر.[2]

إن صانع العالم - سبحانه وتعالى- ليس بجوهر، لأن الجوهر متجزئ فهو حادث، والله تعالى منزه ومخالف للحوادث، لأنه لو لم يكن مخالفاً لها لكان مماثلاً، ولو كان مماثلًا لها لكان حادثاً، فهذا محال. وقد بين الله تعالى بقوله: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص:4]. وقوله تعالى: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الشورى:11].

وصانع العالم ليس بجسم، لأن الجسم مؤلف من الجوهر، وإذا بطل كونه جوهراً بطل كونه جسماً بالضرورة.

وصانع العالم ليس بعرض، لأن العرض لا يقوم بذاته، بل هو يحتاج إلى جسم يقوم به، والقديم عزّ وجلّ قائم بذاته لا يحتاج إلى غيره ليقوم به.[3]

فالله تعالى قديم لا يجوز عليه غير القدم، لأنه واجب الوجود، وهو قائم بذاته، فهو دائم الوجود لم يزل ولا يزال فالباري أوجب بذاته عقلاً وهو مجرد من المادة، لا يشبه المخلوقات.[4]

لو سأل سائل عن الفرق بين دليل الإمكان والحدوث لأنهما متشابهان، نقول: نعم هناك نوع من الاشتراك بين الدليلين، ولكن الفرق بينهما ثابت: فبطريق الحدوث يتوصل الناظر إلى أن العالم حادث، أي وجد بعد أن كان موجوداً، يعني أن كل حادث ممكن بالضرورة، ثم بعد ذلك يتم إثبات المحدِث. وأما طريق الإمكان، فإننا نعلم أولاً إمكان العالم، بدون اشتراط النظر في كون العالم حادثاً أو غير

---

(1) الشهرستاني، عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت 548هـ/ 1153م)، **الملل والنحل**، ط3، (تحقيق: علي حسن فاعور وغيره)، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ص: 112.

(2) انظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص: 43.

(3) انظر: الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد(ت 593هـ/ 1197م)، **كتاب أصول الدين**، ط1، (تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1998م، ص77-78.

(4) انظر: الشهرستاني، عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/ 1153م)، **كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام**، ط1، (حرره وصححه: ألفرد جيوم)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009م، ص: 3.

حادث، أو في كونه قديماً أو غير قديم، وبعد ذلك يتم الوصول إلى إثبات وجود الواجب الوجود، سبحانه وتعالى.[1]

[1] انظر: فودة، **الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة**، ص: 220.

المبحث الثاني: إثبات وجود الله في منهج بديع الزمان سعيد النورسي

عاش بديع الزمان سعيد النورسي في الفترة المظلمة التي نشرت فيها أفكار إنكار الألوهية، وكذلك إنكار عقيدة الإسلام، واشتعلت نار الإنكار بين أبناء المسلمين، في بلاده وفي أرجاء العالم. وقد جهد النورسي ليخمد هذه النار حتى ينجو أبناء المسلمين من هذه الفتنة، كما قال هو نفسه عن هذه الحال: "أمامي حريق هائل يبلغ لهيبه عَنان السماء.. يحترق فيه أبنائي.. وتصل ألسنة النار إلي.. فأهبُّ مسرعاً لأخمد الحريق وأنقذهم.."[1]

لقد قام النورسي بدور كبير في إطفاء هذه النار التي كادت أن تبتلع المسلمين، فبدأ بتأليف تفسيره العقدي الذي سماه رسائل النور، وأثبت فيه كثيرًا من أسس العقيدة الإسلامية، وخاصةً وجود الخالق.

لم يقتنع النورسي بإثبات العلماء السابقين، لأن تغير العصر غير الأفكار البشرية ونشر التيارات الجديدة، لذلك وسّع النورسي أدلة العلماء السابقين، وزاد عليها أدلة جديدة ترد على الشبهات.

1. دليل العناية والغاية

يظهر دليل العناية في كل العالم، فهو عبارة عن نظام الكون. وهذا النظام منبع لكل المصالح والحكم والمنفعة. ويقول النورسي: جميع الآيات القرآنية التي تعدد منافع الأشياء وتذكر حكمها إنما هي كلها تجليات من مظاهر هذا النظام. إذ إن النظام يثبت وجود نظّام، وكذلك ينفي التصادف الأعمى. ويقول النورسي أيضاً؛ إن لم يحط نظرُك بهذا النظام العالي المزين بفصوص الحِكم، فانظر إلى الفنون التي صدرت عن نظام الكون لترى هذا النظام الذي يبهر العقول. والفن عبارة عن قواعد كلية، وكلية القاعدة تدل على حسن النظام، والنظام يدل على نظّامه وهو الله سبحانه وتعالى.[2]

فزبدة دليل العناية والغاية هي؛ إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات، وما فيها من المصالح والحكم، إذ إن النظام يدل على قصد الخالق الحكيم. وينفي نفيًا قاطعاً وَهم التصادف. لأن الإتقان يكون بالاختيار. فكل العلوم الكونية تشهد على النظام، وتشير إلى المصالح والحكم. وكل أنواع الموجودات التي تتجلى في نظامه وحكمه ومصالحه تجعله يعلن بذاته أنه صادر عن يد القدرة الإلهية الحكيمة.[3]

---

(1) النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 22.
(2) انظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص: 147.
(3) انظر: النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **المثنوي العربي النوري**، (تحقيق: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر، ص: 418.

إذا فتحنا أعيننا ونظرنا في الكائنات، لفت نظرنا؛ نظامٌ عامٌّ كامل، ونظام دقيق شامل، فلكل شيء له نظام دقيق يوزن بميزان حساس.كما قال سبحانه تعالى: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (.) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) [الملك: 3-4].

و يرى النورسي أننا إذا ما دققنا النظر، يلفت نظرنا تنظيم وميزان متجددان، أي متغيران بمقدار معين. وإذا عمقنا النظر أكثر، فإننا نرى أن العدالة والحكمة تشاهدان من تحت ذلك النظام والميزان. وإذا دققنا النظر أكثر، نستشعر قدرة في غاية الحكمة والعدالة محيطة بكل شيء، بمعنى أن هذين النظام والميزان الموجودين في الموجودات كافة، وهذا النظام والميزان يظهران حكمة وعدالة شاملتين، وتلك الحكمة والعدالة تبينان للأنظار قدرةً وعلماً. أي أن قديراً على كل شيء وعليماً بكل شيء يتجلى للعقل من وراء تلك الحُجب.[1]

نعم أنا أيضاً أرى ما يراه النورسي؛ فلو دققنا النظر في الكون لرأينا نظامًا عظيمًا يتجلى في الموجودات، وكل موجود يتألف من أجزاء، وكل جزء له وزن دقيق، وبهذه الدقة تتجلى حِكم كثيرة، وهذه الحكم تدل بلا شك على وجود الحاكم الحكيم الذي له الكمال المطلق.

فإن ما يتراءى في الكون مجموعاً وأجزاءً من أنواع التنظيمات والموازنات، يدل على وجوب وجود الخالق الذي يصرّف أمور هذه الكائنات في قبضته، ويفتح منفذًا يوصلنا إلى الحقيقة: وهي أن وحدة الخلق، تقول بلسان الكائنات فيه بهذا اللسان: (الله لا إله إلا هو).[2]

ويعطي النورسي مثالًا لنرى به نظام الكون؛ إن الحيوان المكروسكوبيّ الذي لا يرى بالعين، كأنه ماكينة إلهية، فبالضرورة أن تلك الماكينة الممكنة في ذاتها ما وجدت بنفسها بلا علة، والممكن متساوٍ وجوده وعدمه. وباتفاق العقلاء لا بد لها من علة مرجحة، ومن المحال أن تكون هذه العلة أسباب طبيعي؛ لأن النظام الذي في الماكينة الإلهية يتجلى فيه العلم والشعور، فليس من الممكن أن نتصورهما في تلك الأسباب. فلو زعم أحد أن هذه الماكينة تخلق من الأسباب، لوجب عليه أن يعطى لكل ذرة من

---

(1) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 283.
(2) انظر: النورسي، **المثنوي العربي النوري**، ص: 121.

الأسباب شعورًا كشعور أفلاطون[1] وحكمة كحكمة جالينوس[2]، ومع أنه يجب أن يقبل بين تلك الذرات المخابرة العمومية. وهذا محال عند كل العقلاء، فيجب على كل العقلاء أن يقبل علة حقيقية وهوواجب الوجود سبحانه تعالى.[3]

نعم، ما دامت المخلوقات موجودة وقائمة أمامنا، إذ لا يمكن إنكارها مطلقاً، وإن كل موجود يأتي إلى الوجود في غاية الإتقان والحكمة، وهو ليس قديمًا، بل هو محدَث جديد. إذن فإن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجِده بالإتقان والحكمة.[4]

فمثلاً؛ إن الحبوب المتسنبلة المدفونة في الأرض، والأشجار ذات الأغصان والأوراق والأثمار، تتغذى من تربة واحدة، ولكنها تتمايز عن بعضها، على الرغم من اختلاط المواد التي تدخل في تكوينها، وكذلك تتمايز المواد الغذائية الدقيقة الداخلة في حجيرات أجسام هذه النباتات بحكمة بالغة. وهذا يدل دلالة واضحة على وجوب وجود الله سبحانه وكمال قدرته.[5]

وقد فسر النورسي الآيات القرآنية التي تدل على تَسبيح الكائنات، أي كيف تدل الكائنات على خالقها، في قوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) [الإسراء: 44]. فالنورسي فسر بأسلوبه العجيب في رسالته التي سماها الآية الكبرى، أو الدليل الأعظم، أي شهادة الكون على وجود خالقه. فالنورسي في هذه الرسالة يعبّر بلسان سائح يتجول في الكون ويسأل خالقه؛ أي يسأل السماء والشمس والقمر والنجوم، ثم يتوجه إلى الفضاء والغيوم والمطر والرياح، ثم إلى الكرة الأرضية، والأنهار، والجبال، والأشجار والنباتات، والطيور والحيوانات، وغير ذلك... فكل الموجودات ترد عليه بلسان حالها، أي بانتظامها ومصالحها وحكمها، أن الله سبحانه تعالى موجود بلا شك ولا شبهة.

ونضرب مثالاً من تفسير النورسي؛ حين ينظر السائح في السماء يرى مئات الألوف من الأجرام السماوية بلا أعمدة ولا سند، ومنها ما هو أكبر من أرضنا بمليون مرة، وبعضها أسرع من انطلاق القذيفة بسبعين مرة، ومع أنها بلا وقود أو زيت إلا أنها متوهجة لم تنطفئ ، وحركاتها دائبة بلا

---

(1) أفلاطون: هو فيلسوف وطبيب يوناني، عالم في الهندسة وطبائع الأعداد. انظر: ابن أبي أصيبعة(ت 668هـ)، **كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط1، (تحقيق: د.عامر النجار)، دار المعارف، القاهرة، 1996م، ص: 261.

(2) جالينوس: هو طبيب إغريقي مشهور من كبار الأطباء وعاش سبعة ثمانين سنة، وألف كثيرًا من الكتب عن الطب. انظر: **المصدر السابق**، ص307.

(3) انظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص: 148.

(4) انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 247.

(5) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 774.

ضوضاء ولا اختلال... ويرى السائح؛ تسخير الشمس والقمر في حكم المعين بلا عصيان ولا توقف، وكذلك يرى سير كل الأجرام الكبيرة المختلفة في السرعة، والكتلة، والحركة، ولكن كلها تخضع لنظام واحد يدل على دقة في الميزان وعظمة في الإتقان، والمصالح والحكم والغايات... فلا بد أن هذا الإتقان يدل على ذات واجب الوجود الذي لا حد لقدرته، وهو الله سبحانه تعالى.[1]

2. دليل الحدوث والإختراع

قال علماء الكلام عن حدوث العالم: إن العالم حادث ودليل حدوثه تغيره، لأن كل متغير حادث أي إن تغيره من حال إلى حال أخرى دليل على حدوثه، وكل محدَثٍ لا بد له من محدِث، لذا فالكون لا بد له من موجِد قديم. وقال النورسي: نحن نقول: نعم، إن الكون حادث حيث نشاهد في كل سنة بل في كل موسم عالم يرحل ويأتي آخر مكانه. وهكذا يأتي الواحد تلو الآخر من العدم إلى الوجود. فالقدير المطلق ذو الجلال هو الذي يوجِد هذا العالم. وهذا الإيجاد دليل على وجوده.[2]

أن الله - سبحانه وتعالى- أوجد الموجودات بطريقتين؛ الأولى: بالاختراع والإبداع، أي إنه سبحانه وتعالى يبدع الموجودات من العدم إبداعاً من غير شيء، فهو يوجد كل ما يلزمه من العدم. والأخرى: بالإنشاء، أي ينشئ قسماً من الموجودات من عناصر الكون نفسه.[3]

ولو نظرنا إلى الكون لرأينا أن الموجودات أكثر من مائتي ألف نوع. ولا بد من أب أول لكل من هذه الأنواع، لأن التسسل باطل عقلاً، فإذن هذا الأب من الممكنات، أوجد بيدي الخالق المختار.[4]

إذ نرى أمامنا في العالم أنواعاً لا تحصى من الحياة تخلق في كل حين، وأرواحها التي هي أصلها، تخلق دفعة واحدةً من العدم، وكل نوع من الأحياء يأتي إلى الحياة مباشرةً. وكل هذا يدل على وجود واجب الوجود ذي الجلال الأقدس.[5]

---

[1] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 136.
[2] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 807
[3] انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 273.
[4] انظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإجاز**، ص: 149.
[5] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 796.

فهو يوجد الأشياء من العدم بحكمةٍ، ويبدعها بإتقانٍ. فالخلق والإنشاء هما عن اختيار وعلم، وهي حقيقة لا يمكن ردُّها بأي جهة إلى المصادفة العشواء، أو القوة العمياء، أو الطبيعة الصمّاء؛ بل يشهد عدد هذه الأشياء على وجوب وجود ذات الحيّ القيوم.[1]

أجل نشاهد في كل سنة بل في كل موسم عالماً يرحل ويأتي آخر مكانه، تمضي كائنات، وتأتي أخرى. فسبحانه وتعالى هو الذي يوجد هذا العالم من العدم في كل سنة، بل في كل يوم، يعرضه أمامنا ثم يأخذه إلى الغيب، ويأتي مكانه بآخر.[2]

نعم، يأتي سبحانه وتعالى في كل سنة بمخلوقات جديدة، ويعرضها أمام أنظارنا لكي يعرفنا وجوب وجود ذاته، وأسمائه الحسنى وصفاته العليا. وأنه يخلق جميع الأحياء بسهولةٍ، كما جاء في قوله تعالى: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [لقمان: 28]. وقال النورسي: يخلق جميع الأحياء على وجه الأرض بسهولةِ إحياءِ ذبابةٍ، ويوجِد ربيعاً بسهولةِ إيجادِ زهرة، وهو لا يحتاج ليجمع، لأنه مالك أمر (كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران: 47]، وإنه هو الذي يوجد كل الموجودات بكل الأشكال والأحوال غير المحدودة، وغير المعدودة، فضلاً عن عناصرها الأولية إيجاداً من العدم.[3]

أما في حال الخلق إنشاءً وتركيباً، وليس من العدم مباشرةً، فإن جمع العناصر والمواد سهل جداً، فكما أن اجتماع الجند المتفرقين المنتمين لطابور معين بصوت من بوق، وأخذ كل منهم وضعاً منتظماً، كذلك تساق الذرات المنضوية تحت قيادة رب العالمين، فتأتي تلك الذرات لتشكل وجود كائن حي، فتدخل ضمن مقدارٍ معين كقالب معنوي علمي وقدري، وتقف هناك. وإن تركيب وإنشاء جسم ذبابة واحدة أو زهرةٍ واحدة يقتضي جمعَ جميع ذراتها من سطح الأرض كافة، فالأسباب كلها لا تستطع جمعها بهذا النظام والانتظام، وبث الحياة فيها، ولا يقدر على هذه الأمور إلا خالق الكون الحي القيوم سبحانه وتعالى.[4]

3. دليل الإمكان

دليل الإمكان هو دليل مشهور عند المتكلمين لإثبات وجود الخالق، وهو دليل عظيم يتجلى في أرجاء الكون، فكثير من العلماء فسر وشرح إثبات وجود الله بهذا الدليل، ولكن معظم شرحهم اقتصر

---

(1) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 440.
(2) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 807.
(3) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 161.
(4) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 27.

على معانٍ معينة وأسلوب محدد. ولكن النورسي وسّع هذا الدليل وشرحه بطريقة جديدة، وأثبت وجود الخالق بأسلوبه الخاص به.

يبيّن لنا النورسي الفرق بين إثباته وإثبات المتكلمين السابقين فيقول: فقد قال المتكلمون: الإمكان متساوي الطرفين، أي تساوي العدم والوجود بالنسبة إلى شيء ما، فلا بد من مرجح وموجد له، لأن الممكن لا ينتج الممكن الآخر، لأنه لو أوجده لكان حلقة في سلسلة دائرة. وهذا باطل، فإذن فلا بد من واجب الوجود ليوجد الأشياء كلها.

ونحن نقول: إن إظهار الختم الخاص للخالق على كل شيء المختوم به كل شيء لهو أقوى وأسهل وضوحاً من (انقطاع سلسلة الأسباب) ثم بلوغ إثبات وجود الخالق. لأن طريق الإمكان واسعة بلا حدود، إذ تؤدي إلى معرفة لا حدود لها لمعرفة واجب الوجود. وتوضح لنا كذلك؛ حيث نرى كل شيء في وجوده وحياته وصفته ومدة حياته، مترددًا ضمن طرق إمكانات واحتمالات لا حد لها، ولكن يساق كل شيء إلى طريق معينة، وسلوك طريق معينة من بين طرق لا حدّ لها يؤدي إلى حكم معين؛ إنما هو بإدارة مخصص خصصه، وبمرجح رجحه، وبإيجاد موجدٍ حكيم. وترى أن هذا الشيء يكون جزءًا من جسم مركب، عندئذٍ تزداد طرق الإمكانات أكثر، لأن هذا الجزء يمكن أن يتخذ ألوفاً من الأشكال والأنماط في ذلك الجسم المركب، فهذه الاحتمالات الكثيرة تدل على وجود الذات المختار، وهكذا نقيس كل جزء إلى كل أعداد المركبات. وهكذا نرى شهادات الإمكان أدلّة لا تحد على واجب الوجود.[1]

ويقول: النورسي إن كل ذرة من الذرات التي يحتويها الكون تتكون بطريقة معينة من كثير من الطرق والإمكانات والاحتمالات والمشكلات والقوانين، إما في ذاتها، وإما في صفتها، وإما في وجودها وأحوالها؛ فهي تدخل في طريق معين، وتلبس صفة مخصصة، وتكيف بحالة منتظمة، فتنتج حكمة ومَصلحة لا حصر لها. أفلا تنادي بلسانها المخصوص معلنة عن وجود صانعها وخالقها سبحانه وتعالى؟[2]

ونرى أن جميع هذه الشهادات والدلالات، صادرة عن حقيقة الإمكان، وهذه الحقيقة تشمل الكون، لأنه بعدد جميع الممكنات الكلية والجزئية، وبعدد إمكانات كل ممكن - كما ذكرنا- من ماهية وهوية،

---

[1] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 807-809.
[2] انظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص: 151-152.

وما له من هيئة وصورة، وما يتميز به من صفة ووضعية، هناك شهادات ودلالات على وجودِ واجب الوجود - سبحانه وتعالى- الذي يرجح ويخصّص ويحدث ويعين كل الموجودات.[1]

ويرى النورسي وجه الإنسان هو دليل على وجود البارئ فيقول: تتردد الأشياء بين الوجود والتشخص، بين طرق الاحتمالات والإمكانات غير المحدودة، إذ بهذه الإمكانات تمنح صورة مميزة لها، وبالحكمة والانتظام تثبت هذه الصورة صانعها ومصورها. فنرى لكل إنسان وجهًا له علامته الفارقة، ومنظمًا بحكمة ظاهرة، ذلك أن هذا الوجه الصغير يدل بمئات الدلائل على وجود واجب الوجود الواحد الأحد.[2]

إن الإمكان يدل على الوجوب كما شرح النورسي؛ فالمَضروب يدل على الضارب، والمصنوع يستوجب الصانع، والولد يقتضي الوالد، والتحت يستلزم الفوق، وهكذا... وأطلق العلماء على هذه الصفات (الأمور الإضافية)، أي لا يحصل الواحد منها دون الآخر. وكذلك الإمكان الذي يتجلى في الكون يدل على الوجوب. وما يشاهد فيها من انفعالات يدل على فاعل واحد، وجميع المخلوقات تدل على خالقها، وكثرة التركب يستلزم الوحدة. فالوجوب والخالقية والفعل، والوحدة، تدل على ذات موصوف بالواجب، والخالق، والفاعل، والواحد الذي ليس ممكناً ولا مخلوقاً ولا منفعلاً ولا كثيراً ولا مركباً. وعلى هذا الأساس فإن ما في العالم من الإمكان، والانفعال، والمخلوقية، والكثرة، والتركيب، يشهد على ذات واجب الوجود، الواحد الأحد، وخالق كل شيء الفعال لما يريد.[3]

4. عجز الأسباب في إيجاد المسبَّبات

خلق الله تعالى كل المخلوقات بعلة، أي بسبب، بل خلقها بكثير من الأسباب، لأن عالم الكون هو دار الامتحان فلا بد لحكمة الامتحان من أن تكون الأسباب ستارًا على قدرته، فاتخذ الله - سبحانه وتعالى- عادة له يخلق المسببات مع الأسباب، أي يخلق الأسباب والمسببات مع بعضها البعض.

فلو نظرنا إلى الأسباب الظاهرية لرأيناها في غاية البساطة، والمحدودية، والفقر، والجمود، وانعدام الشعور والإرادة. ولو نظرنا إلى المسبَبات لرأيناها في غاية الزينة والنقوش الخارقة، والصنعة العجيبة، فيدرك العقل أنه لا يمكن ربط علاقة الأسباب البسيطة بالمسبَبات الخارقة. فتستلزم هذه

---

(1) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 174.
(2) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 769.
(3) انظر: **المصدر السابق**، ص: 799.

الحقيقة الإقرار بأنه لا مؤثر في الكون إلا قدرة الخالق القدير الذي لا نهاية لقدرته. والأسباب هي حجابات ظاهرية لهذه القدرة.[1]

تعمل كل الذرات والمخلوقات في الأوضاع المختلفة بانتظام على أكمل وجه، ليس فيها أي اختلاف. ولكن الأسباب لا تستطيع أن تتحرك أو تنتج الحكمة. وضرب النورسي مثالاً لشرح هذا الموضوع، فقال: القوة الحافظة هي بحجم حبة من خردل في دماغ الإنسان، ونراها كأنها كتاب جامع بل كأنها مكتبة كبيرة لحياة الإنسان تُكتب فيها المعلومات دون أن تختلط ببعضها البعض. ترى أي سبب يمكن أن يفعل هذا؟ وهل الحجيرات الدماغية التي بلا شعور تحفظ وتسجل هكذا؟ أم رياح المصادفة العشوائية؟ فلا يمكن أن تكون هذه المعجزة الظاهرة إلا من إبداع الخالق الحكيم، الذي جعل الحافظة كالمكتبة أو كسجلات لأعمال الإنسان. خذ القوة الحافظة للإنسان وقس عليها كل الموجودات، لترى في كل العالم حكمًا وعملًا ووظائف خارقة هي فوق طاقة الأسباب العادية. فالأسباب إذن عاجزة عن إيجاد المسبَبات، وكل المسبَبات مفتقرة إلى الله.[2]

إن الأسباب متصلة ظاهريًا مع المسبَبات، ولكن بينهما مسافة بعيدة. وهذا البعد عظيم؛ لأن أكبر سبب لا يستطيع أن يوجد أدنى مسبب. مثلاً؛ عندما نشاهد الجبال نراها ملتصقة بأفق السماء، بينما هناك مسافة عظمة بينها، كذلك فإن ما بين الأسباب والمسببات مسافة عظيمة ترى بنور الإيمان. فنحن نشاهد الماء ينزل من السماء والنباتات تخرج من التراب، كأنما تحركهما الشفقة على كل ذي حياة. وصفة الشفقة هذه تدل على وجوب وجود ذات رحيمة.[3]

والإبداع الظاهر على المسببات والجمال الذي هي عليه تعزل الأسباب وقدرتها، وتدل بلسان حالها على مسبب الأسباب، وتثبت وجود الله - سبحانه وتعالى- وتسلم الأمور كلها إليه، كما جاء في الآية: (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ) [هود: 123]. كذلك فإن النتائج والفوائد التي تنتج من المسبَبات، تظهر بداهةً وجود الخالق وراء حجاب الأسباب.[4]

نعم، هذا دليل ظاهر على وجود الله، ونحن نتفق في هذه الأمور مع النورسي، لأن الأسباب في الحقيقة بسيطة جداً وليس لديها أي قدرة للإنتاج، مثلاً؛ نرى للتفاح لونًا وشكلًا وطعمًا، ولكن الأسباب

---

(1) انظر: النورسي، **المثنوي العربي النوري**، ص: 126.
(2) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 802.
(3) انظر: **المصدر السابق**، ص: 475.
(4) انظر: جرار، د. مأمون فريز(2013م)، **اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان يعيد النورسي**، (ج1/ ط1)، عمان: دار المأمون، ص: 252-253.

التي يخرج منها كالتراب والماء والضياء ليس لديها طعم التفاح ولا لونه ولا شكله. فمن أين جاءت هذه الصفات إذن؟! وكذلك في التفاح فيتامينات تفيد الناس، والأسباب آنفة الذكر لا تفكر ولا تعرف ماذا ينفع صحة الإنسان، لأنها جامدة، وبلا شعور، فعجز الأسباب هذا يدلنا من وراء الحجاب على ذات واجب الوجود والخالق الحكيم الذي تعجز الأسباب عن كمال قدرته.

5. قبول الأدعية وتلبية الاحتياجات

حقيقة الدعاء جارية في تمام الكون، وهو أساس العبادة، وله قيمة كبيرة. فقد قال البارئ في الآية الكريمة : (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) [الفرقان: 77]. ويظهر وجود واجب الوجود في دعاء الموجودات، فنرى كلًّا من الموجودات يدعو الله بلسانه الخاص به، فيقبل معظم دعائهم وقت يشاء مختارًا لهم الأفضل. فهذا دليل على وجود ذات موجود يسمع الدعاء ويستجيب بما هو خير لهم.

وهناك أنواع مختلفة للدعاء، الأول هو دعاء بلسان الاستعداد والقابلية، هذا نوع من الدعاء موجود عند كل الحبوب والنويّات، وهي جميعها تسأل خالقها بلسان استعدادها قائلة: يا خالقنا هيئ لنا نمواً نتمكن به من إبراز أسمائك الحسنى، فنعرضها أمام الأنظار. ويا إلهنا حوِّل حقيقتنا الصغيرة إلى حقيقة عظيمة أي إلى حقيقة الشجرة والسنبل. والمثال الثاني على هذا النوع؛ تجمع الأسباب، وهو أيضًا دعاء الاستعداد، لأن الأسباب تجتمع حول البذور، كالماء والتراب والحرارة، وتدعو قائلةً: يا إلهنا اجعل هذه البذرة شجرة.

والنوع الثاني هو الدعاء الذي يسأل بلسان الحاجة الفطرية، فالكائنات كلها تدعو بهذا النوع. وتطلب احتياجاتها بلسان الفطرة من خالقها. فكل ذي حياة كالنباتات والحيوانات يدعو بهذا النوع ويطلب إحتياجاته بلسانه الفطرية من خالقه. كل ذي حياة كالنباتات والحيوانات يدع بهذا الدعاء ونراه يتأثر لها مطلبها الذي لا يمكن أن تصل يدها إليها. كنزول المطر وضياء الشمس وكذلك الأمور الكونية كلها هي استجابة لهذا النوع من الدعاء.

والنوع الثالث هو الدعاء الذي يسأله ذوو الشعور لتلبية حاجاتهم. وهذا الدعاء نوعان: فالقسم الأول، مستجاب للكل على الأغلب، خاصة إن كان قد بلغ درجة الاضطرار كالمكتشفات العلمية و التكنولوجية، الخارقة البشري هي استجابة الدعاء في هذا القسم. والقسم الثاني هو دعاؤنا. وهو قسمان:

الأول حالي والثاني قالي، فحرث الأرض هو دعاء حالي، لأن الحرث هو طرق لباب الرحمة الإلهية، وبهذا الحال تطلب منه، وكل شيء نسأله يتعلق باحتياجاتنا هو دعاء قالي.[1]

نعم إننا نرى أن كل فرد بحاجة إلى رزق لإدامة حياته، وكذلك جميع الموجودات خصوصاً الأحياء لهم مطالب كثيرة، وضروريات كثيرة. وهم مفتقرون ومحتاجون إلى أشياء كثيرة لا يمكن أن تصل أيديهم إلى أدناها، ونشاهد جميع المطالب والأرزاق تسلَّم إلى أيديهم من حيث لا يحتسبون، وفي الوقت المناسب لهم وبانتظام كامل. ألا يدل هذا الافتقار وتلبية الحاجة وقبول الدعاء، على موجودية ذات واجب الوجود ورب حكيم ذي جلال؟[2]

وفسر النورسي الآية: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5]. وقال عن كلمة (نَسْتَعِينُ): نفهم بما ترمز (ن) نستعين، أن كل الموجودات من صغيرها إلى كبيرها تستعينه فعلًا وحالًا، ولكل منها دعاء خاص بها. ونرى لكل دعاء استجابة، فهذه الاستجابة شهادة صادقة لا تقبل شبهة على وجود مدبّر رؤوف رحيم.[3]

و قال: ما دامت تعطى لجميع الموجودات حاجاتها التي لا تقدر عليها ولا تبلغها، وتؤتاها من يد غيب رحيم سميع مشفق؛ ودعاء الإنسان معظمه يستجاب، ولا سيما دعوات الأنبياء والخواص التي يجاب معظمهما إجابة خارقة للعادة؛ فهذا دليل قاطع على أن خلف حجاب الغيب وجود ذات سميع مجيب يسمع كل مطلوب ويرى كل حاجات يحتاجها أدنى ذي حياة، ويسمع أخفى صوت ويستجيب له استجابة فعليةً.[4]

نعم إن استجابة جميع هذه الأدعية التي لا تحصاها استجابة فعليةً، تشير كل منها إلى واجب الوجود وإلى وحدانيته، وإن مجموع تلك الاستجابات تدل بمقياس أوسع وأعظم على خالق رحيم مجيب، وتوجه الأنظار إليه سبحانه وتعالى.[5]

---

[1] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 373-374.
[2] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 339.
[3] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 615.
[4] انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 549.
[5] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 770.

6. التعاون الذي يجري بين المخلوقات

قانون التعاون يجري في الكون كله؛ وهو يشمل الكائنات من أصغر الحجيرات إلى أكبر الأجرام السماوية في هذا الكون. فكل الموجودات يساعد بعضها البعض الآخر لأجل استمرار الحياة.

نرى ذرات الرزق تساعد الحجيرات البدنية، والسحاب يمطر مطرًا يعطينا الماء، والشمس تدور تعطي ضياءها لأجل المخلوقات، والقمر تقويم لأجل أوقاتنا، والنباتات تنبت لأجل غذائنا، والبحار تعطينا سمكها لرزقنا والجبال تعطينا المعادن... وغير ذلك. فنشاهد كل الموجودات مسخرة للإنسان وللموجودات الأخرى.

ويرى النورسي أن قانون التعاون هذا جارٍ في كل الكون، وهو دليل كبير على وجود الخالق؛ يقول مثلاً: إن سعي العناصر لإمداد الأحياء، والسحاب بمساعدة النباتات، والنباتات بمساعدة الحيوانات، ومعاونة الحيوانات للإنسان، واللبن السائغ في الأثداء لإطعام الصغار، وتسليم حاجات الأحياء وأرزاقها الكثيرة والخارجة عن طاقاتها إلى أيديها من حيث لا تحتسب، وجري الذرات الغذائية لبناء خلايا البدن وغير ذلك ما شابهها من الأمثلة الكثيرة، لحقيقة التعاون الجارية بتسخير ذات رباني وباسخدامه الرحماني، تظهر وجوب وجوده وربوبيته الرحيمة يدير الكون بسهولة مطلقة. لأن إظهار الأشياء المتعاونة التي هي جامدة وبلا شعور ولا شفقة دليل على وجوب وجود ذي شعور وذي شفقة لأن التعاون يقتضي معرفة الآخر والشفقة عليه وهذا محال للجمادات.[1]

إن معاونة الموجودات بعضها للبعض الآخر، وتجاوبها فيما بينها، وتساندها وتعاونها في الوظائف والواجبات، يدل على أن كل المخلوقات تحت عناية ورعاية ذات واحد. ونشاهد الموجودات الجامدة الفاقدة للشعور تنقاد لدستور التعاون، ونرى ارتباطها معاً إرتباط تفاهم وتجاوب في منتهى الحكمة، وفي منتهى الكرم والشفقة، وجعل كل منها يسعى لإغاثة الآخر وإمداده بلوازم حياته، تحت ظل رحمة ورأفة وحكمة.[2] كل ذلك يدل بداهة على أن الموجودات عاملات ومسخرات لذات الواجب الوجود والواحد الأحد، ودليل وجوده كدليل الضياء على وجود الشمس.[3]

---

(1) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 174-175.
(2) انظر: جرار، **اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي**، ص245.
(3) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص777.

7. إجماع الأنبياء والعلماء

إن جميع الأنبياء أجمعوا على موجودية واجب الوجود وأثبتوا ذلك بأدلتهم ومعجزاتهم الباهرة. وأجمع العلماء على ذلك أيضًا وأثبتوه بأدلتهم القاطعة وأبحاثهم العميقة. والكتب السماوية كلها تجمع على نفس الدعوى. فإجماع كل ما ذكرنا طاهر ومنزه من الشبهات يدل على أن وجود الله قاطع ثابت لا تداخله أية شبهة.

ويشهد الكون كله على وجود الخالق؛ مثل السماء والأرض والبر والبحر والشمس والقمر والنبات والحيوان وغير ذلك، كلها تعرف وجوده بأفرادها وأجزائها وذراتها، وتدل عليه؛ فإن الأنبياء والأولياء والأصفياء يشهدون ويخبرون بوجوب وجوده ووحدانيته، إخباراً قاطعاً بقوة مئات أدلة التواتر المستندة إلى مشاهدات عقولهم وقلوبهم، ويثبتون إخباراتهم بمعجزاتهم وكراماتهم وبراهينهم اليقينية.[1]

نعم ، إن المعجزات تصديق فعلي من الله - سبحانه وتعالى- للأنبياء، عليهم السلام، والكتب السماوية التي نزلت ضد عناد المنكرين وتأييدًا للرسل. وإرشاداتها السليمة دالة على حقانيتهم. وقوة إيمانهم وغاية جديتهم تشهد على صواب دعوتهم وصدقهم، فعلى كل هذا فإن إجماع أولئك الصادقين في المسائل المثبتة لهو حجة قاطعة لا شك فيها، لا تستطيع أية قوة في الكون أن تصارعها. وإن اتفاق العلماء - مع تفاوت استعداداتهم واختلاف مسالكهم – على وجوب وجود الله وأصول الإيمان مستندًا كل منهم على البراهين ويقينها، لهو حجة قاطعة لا يمكن لأحدٍ معارضها يخرج أمامهم إلا إذا كان يملك ذكاءً أحدَّ من أولئك الأباقر، وكأن برهانه أقوى من براهين الجميع، وحجته أبلغ من حجتهم جميعاً. وهذا محال. لأنه لا يمكن مجابتها إلا بالجهل والإنكار. والإنكار لا يمكن إثباته لأنه من المسائل المنفية، والمسائل المنفية في الأمور الغيبية لا يمكن إثباتها. والحال أن من يغمض عينيه فقد جعل نهاره ليلاً.[2]

يرى النورسي إجماع الأنبياء والعلماء نافذة واسعة مفتوحة ومنارة مضيئة ساطعة، يرى كل الناس وجوب وجود الله في تلك النافذة. وقال النورسي: إن جميع الأنبياء، عليهم السلام، الذين يستندون إلى معجزاتهم الظاهرة الباهرة، وجميع الأولياء الذين يعتمدون على كراماتهم، وجميع العلماء الذين

---

[1] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 59.
[2] انظر: **المصدر السابق**، ص: 148-149.

يمثلون أرباب العقول النورانية مستندين إلى تحقيقاتهم العلمية. يدلون جميعًا على وجوب وجود الواحد الأحد الخالق لكل شيء.[1]

نعم، إن اتفاق الأنبياء والرسل هو دليل عظيم على وجود واجب الوجود، لأن كل نبي كان يدعو قومه إلى خالق واجب الوجود ووحدانيته، كما جاء في التنزل العزيز: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) [البقرة: 129]. وهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً.[2] أي وقّع مائة وأربعة وعشرون ألف توقيع تحت كلمة (إن الله موجود وهو واجب الوجود). وأكثر من ملاين العلماء الذين هم ثمار من شجرة الإسلام وورثة الأنبياء، وهم أيضاً وقّعوا تحت الكلمة نفسها ، أي وُقع تحت الكلمة نفسها تواقيع لا تحصى. فهذه التوقيعات والاتفاقات دليل على وجود الله كما الضياء دليل على وجود الشمس. ووجود الله سبحانه تعالى ظاهر في كل شيء، والشهادات على وجوده كثيرة وكبيرة في الكون.

---

(1) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 775.

(2) وجاء في رواية أبي أمامة، وقال: (قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفى عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً). وأسنده الألباني إلى أحمد وصححه انظر: الألباني، محمد ناصر الدين(بدون التاريخ)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (ط1)، الرياض: مكتبة المعارف، (رقم حديث: 2668.)

الفصل الثاني: منهج النورسي في إثبات وحدانية الله

المبحث الأول: إثبات وحدانية الله عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: مفهوم وحدانية الله

الوحدانية في اللغة: "مصدر صناعيٌّ من الوحدة، بزيادة الألف والنون للمبالغة. وصفة من صفات الله تعالى معناها أن يمتنع أن يشاركه شيءٌ في ماهيته وصفات كماله، أنه منفرد بالإيجاد والتدبير، العالم بلا واسطة ولا معالجة، ولا مؤثر سواه في أثر ما عموماً."[1]

وقال أبو إسحاق الزجاج معنى واحد في اللغة: "وضعُ الكلمة في اللغة إنما شيء الذي ليس باثنين ولا أكثر منهما." ويقول فائدة هذه الصفة لله، إنما هي تفرُّده بصفاته التي لا يشركه فيها أحدٌ.[2]

وفي الاصطلاح: عند أهل السنة والجماعة هو إفراد ربوبية الله سبحانه تعالى في وجوده وأفعاله وصفاته. والتوحد بإفراد الله تعالى في العباده، أي لا معبود إلا هو.

وقال الامام الغزالي في تعريف وحدانية الله: العلم بأن الله فرد لا ند له، وواحد لا شريك له، ومنفرد بالخلق والإبداع، ولا مثل له يساويه ولا ضد له فينازعه.[3]

وقال أيضًا: الواحد يتطلب أنه لا يقبل القسمة، أي لا كمية له، لذلك لا يتجزأ، والباري واحد بمعنى سلب الكمية التي تقبل القسمة، إذ كان له الانقسام لكان كمية، والتقسيم تصرف في الكمية بالتصغير والتفريق، ومالا كمية له لا يتصور إنقسامه، ويفهم أنه لا نظير له في رتبته. ويعطي مثالاً؛ كما تقال شمس واحدة، والله سبحانه تعالى أيضاً بهذا المعنى واحد؛ وإنه لا ضد له ولا ند له. والمفهوم من الضد هو الذي يتعاقب مع الشيء على محل واحد ولا يجامع، ولا محل لله تعالى في ذلك ولا ضد له.[4]

ويقول الجويني: الباري سبحانه وتعالى واحد، معنى الواحد في اصطلاح الأصوليين الشيء الذي لا ينقسم. والباري سبحانه وتعالى موجود فرد، ومنزه عن الانقسام، والمراد بتسميته واحدًا أنه لا مثل

---

(1) انظر: **المعجم الوسيط**، ص: 1016.
(2) انظر: الزجاج، أبي إسحاق إبراهيم(ت 311هـ/928م)، **تفسير أسماء الله الحسنى**، ط2، (تحقيق: أحمد يوسف الدقاد)، دار المأمون للتراث، دمشق، 1975م، ص: 57.
(3) انظر: الغزالي، الإمام محمد أبي حامد محمد بن محمد(ت 505هـ)، **إحياء علوم الدين**، ط1، (تحقيق: محمد بن نصر أبي جبل)، مكتبة مصر، القاهرة، 2013م، ص: 170.
(4) انظر: الغزالي، **الإقتصاد في الإعتقاد**، ص: 293-294.

له ولا نظير له. وترتب على اعتقاد حقيقة الوحدانية. إيضاح على أن الإله ليس بمؤلف؛ إذ لو كان بمؤلف لكان كل بعض قائماً بنفسه حياً قادراً، وذلك تصريح بإثبات إلهين، وهذا باطل وسبحانه وتعالى منزه عن المركب.[1] لأن المركب مفتقر إلى جزئ غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجبًا بنفسه.[2]

إن الإسلام دعا الناس إلى دين التوحيد الذي شعاره (لا إله إلا الله)، وهذه كلمة تعلن أن الله تعالى هو إله حق. وكل الأنبياء السابقين جاؤوا بالتوحيد ولكن انحرفوا في دياناتهم؛ فاليهود قالت: عزير ابن الله، والنصارى قالت: عيسى ابن الله بل هوجزء من الله، وكل هذا يخالف التوحيد.[3]

والباري سبحانه وتعالى هو واحد أحد لم يلد ولم يولد، فلذلك ليس له ابن ولا بنت، وليس مثله ولا شبهه، وليس له ضد ولا ند. لذا نجد في القرآن آيات كثيرة: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [محمد:19]. و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (.) اللَّهُ الصَّمَدُ (.) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (.) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: 1-4].

وتوحيده سبحان وتعالى هو في ذاته وصفاته وأفعاله، ومفهوم وحدة الذات، أي؛ لا يوجد شيء مثله، ووحدة الصفات، هي؛ لا يوجد لغير الله تعالى صفات كصفاته، ووحدة الأفعال، هي؛ ليس فعل غير الله تعالى كفعله. فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وهذا الذي يعبّرون عنه بوحدة الذات والصفات والأفعال.[4]

المطلب الثاني: إثبات وحدانية الله عند السلف

تعريف وحدانية الله عند السلف: "الإيمان بوجود الله وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته."[5] ومعنى توحيد؛ لا معبود مستحق للعبادة إلا الله سبحانه تعالى.[6]

وقد كانت أول دعوة الرسل لأقوامهم هي وحدانية الله سبحانه وتعالى. قال ابن القيم في هذا المعنى: "التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى."[7] قال

---

(1) انظر: الجوينى، عبد الملك بن عبد الله(ت 478هـ)، **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد**، ط2، (تحقيق: أ.د.احمد عبد الرحمان السايح)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2015م، ص: 55.

(2) انظر: النجار، د.أحمد بن محمد بن الصادق(2015م)، **التعلقات السنية على مقدمة ابن عاشور الإعتقادية الأشعرية**، (ط1)، المدينة النبوية: دار النصيحة، ص: 53.

(3) انظر: القضاة، **المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد**، ص: 12-13.

(4) انظر: **مصدر سابق**، ص: 56.

(5) الجبرين، أ.د.عبد الله بن عبد العزيز(2004م)، **تسهيل العقيدة الإسلامية**، (ط3)، الرياض: دار صميعي، ص: 35.

(6) انظر: الأشقر، **العقيدة في الله**، ص277.

(7) الجوزية، ابن قيم(ت 751هـ/ 1350م)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط3، 3م، (المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، ص: 411.

سبحانه وتعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: 59] وقال هود لقومه: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: 65] وقال صالح لقومه: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: 73] وقال شعيب لقومه: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: 85] وأيضاً قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: 36].

وأثبت السلف وحدانية الله تعالى كما أثبتوا نصوص القرآن والأحادث النبوية، أي: أثبتوا كما أثبت الله سبحانه وتعالى عن نفسه وكما أثبت رسوله عنه، لذلك فإن أدلة السلف على وحدانية الله تعالى هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

إن الطريق الآمن الذي يوصلنا إلى معرفة الله تعالى بشكل صحيح لا شك هو؛ طريق الوحي الإلهي، لأن مصدره العليم الخبير ورسوله الكريم. ولا يكون أحد أعلم بالله من الله، كما لا يكون أحد أعلم بالله من رسوله عليه الصلاة والسلام.[1]

إن السلف قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي؛ الأول: توحيد الربوبية، والثاني: توحيد الألوهية أي العبودية، والثالث: توحيد الأسماء والصفات الإلهية. فقد ذكر سبحانه تعالى في القرآن الكريم أنواع التوحيد في آيات الكثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة: 2]. تثبت الآية بلفظة (لله) توحيد الألهية، وتثبت بلفظة (رب العالمين) توحيد الربوبية، وأيضًا قوله تعالى: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [الفاتحة: 3]. يثبت توحيد الأسماء والصفات، والآيات القرآنية كثيرة تلك التي تدل على أقسام توحيد الله سبحانه وتعالى.[2]

1. توحيد الربوبية

توحيد الربوبية هو: الإيمان بوجود الله، والاعتقاد بإفراده في أفعاله وشؤونه، والاعتقاد بأنه هو الخالق المدبر والرازق لكل شيء وحده لا شرك له.[3]

---

[1] انظر: الأشقر، أ.د.عمر سليمان عبد الله(2010م)، **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة**، (ط8)، عمان: دار النفائس، ص: 15.
[2] انظر: الجبرين، **تسهيل العقيدة الإسلامية**، ص: 36.
[3] انظر: **المصدر السابق**، ص: 41.

وهو الاعتقاد بأن الله تعالى هو المحيي المميت النافع الضار، وهو المتفرد بإجابة الدعاء، والمتفرد بربوبية خلقه إيجاداً وخلقاً وإمداداً، وتدبيراً.[1]

وبيَّن ابن القيم معنى هذا التوحيد؛ أن يشهد صاحبه قيومية الله سبحانه وتعالى فوق عرشه، وهو يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق سواه، ولا معطي ولا مانع غيره، ولا مميت ولا محيي إلا هو، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تسقط ورقة إلا بعلمه ، ولا يجري حادث إلا بمشيئته ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما في بينهما ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا بعلمه، وأحاطت بها قدرته، واقتضتها حكمته، ونفذت بها مشيئته، ، فهذا جمع توحيد الربوبية.[2]

وقد تكاثرت الأدلة في القرآن الكريم والسنة النبوية في إثبات ربوبية الله سبحانه وتعالى، فكل نص ورد فيه اسم (الرب) هو دليل على ربوبيته سبحانه وتعالى، وكذلك كل نص فيه خصيصة من خصائص الربوبية، كالخلق، والتدبير، والرزق، والمُلك، وغيرها. وقد أمر الله العباد بالتفكر في الآيات الظاهرة من المخلوقات ليستدلوا بها على ربوبيته تعالى. قال الله سبحانه وتعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: 20-21]. وكما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: 54]. وقوله تعالى: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) [المؤمنون: 88].

وجاء أيضاً في قوله تعالى لإثبات وحدانية خالقيته آيات كثيرة. ومنها: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [يونس: 31]. و(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (.) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (.) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (.) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (.) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (.) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) [المؤمنون: 84-89].

---

(1) انظر: العبد اللطيف، د.عبد العزيز بن محمد بن علي(1427هـ)، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، (ط3)، الرياض: مدار الوطن للنشر، ص: 96.

(2) انظر: الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج 3/ ص: 471.

وجاءت أدلة إثبات هذا التوحيد من الأحادث النبوية؛ فقد روى الأشعري عن النبي عليه الصلاة والسلام، فذكر الحديث بطوله، وفيه قال النبي عليه الصلاة والسلام: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا.[1]

وعن عمرو بن شرحبيل، قال: قال عبد الله: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله ندا وهو خلقك.[2]

وكذلك الأدلة كثيرة في النصوص القرآنية والأحادث النبوية الشريفة في إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى عز وجل.

وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، لأنه هو الله الخالق البارئ الرزاق الملك وحده فيجب العبادة له وحده لا لغيره من المخلقاته.

2. توحيد الألوهية

توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة. ويسمى هذا التوحيد بتوحيد العمل وتوحيد القصد وتوحيد الإرادة والطلب وتوحيد العبودية.[3]

والعبادة، هي: الانقياد لله والخضوع والذل والطاعة له.[4]

إن أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى، هي: الدعاء والاستعانة، والاستغاثة، وذبح القربان، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمحبة، والخشية، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم، التي هي من خصائص الإلهية.[5]

عرف ابن تيمية العبادة بقوله: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه: من الأقوال والأعمال والأحوال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي

---

(1) الترمذي، أبو عيسى(ت 279هـ)، **سنن الترمذي**، ط2، (تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيرهم)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (1975م)، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، (رقم حديث: 2863).

(2) **صحيح البخاري**، (رقم حديث: 6861). و**صحيح مسلم**، (رقم حديث: 86).

(3) الجبرين، **تسهيل عقيدة الإسلامية**، ص: 53.

(4) انظر: **المعجم الوسيط**، ص: 579.

(5) انظر: النجدي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي(بدون التاريخ)، **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان**، (تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص: 379.

عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى اليتيم والمسكين والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله وخشيته. والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه وأمثال ذلك هي من العبادة لله. وذلك أن العبادة لله سبحانه وتعالى هي الغاية المحبوبة له والمرضية له.[1]

وقال أيضًا: إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله تعالى وحده، فلا يُخشى إلا هو، ولا يُدعا إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، ليس لأحد من الخلق، ولا نتخذ أحدًا أرباباً؛ لا من أنبيائه ولا من الأئمة، ولا الشيوخ ولا الملوك وغيرهم.[2]

وتوحيد العبادة هو توحيد الله سبحانه وتعالى بأفعال العباد، وذلك بأن تصرف جميع أنواع العبادة له وحده، وهذا التوحيد هو أصل الدين. ولأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.[3]

خلق الله الخلق (الجن والإنس) لأجل هذا التوحيد، كما قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56]. ولأجل هذه العبادة فتح دار الامتحان وأرسل الرسل والكتب؛ جاء في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25]. وفي قوله: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) [النحل: 36].

وأدلة النصوص القرآنية كثيرة على إثبات هذا التوحيد؛ كما جاء في قوله تعالى: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) [الرعد: 14]. و(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن: 18]. و(قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: 162]. و(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5]. و(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) [البقرة: 165]. و(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [البقرة: 163]. وغير ذلك...

نشاهد الآيات الكونية تشير إلى أنها تعبد الله تعالى وحده، فهو وحده الخالق والمدبر للسماوات والأرض، لذلك فهو مستحق للعبادة دون غيره.[4] كما جاء في قوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) [الإسراء: 44]. و(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) [الرعد: 15]. و(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

---

(1) انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 10/ ص149-150.
(2) انظر: ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ط1، 3م، (تحقيق: د.محمد رشاد سالم)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1986م، ص: 490.
(3) انظر: العبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص: 131.
(4) انظر: الأشقر، **العقيدة في الله**، ص: 121.

الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر:1]. و(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) [الحج:18]. وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة جداً في إثبات توحيد الألوهية.

وأدلة الأحاديث النبوية كثيرة على إثبات هذا التوحيد؛ كما ما روى البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟)، قال: الله ورسوله أعلم، قال: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟)، قال: الله ورسوله أعلم، قال: (أن لا يعذبهم).[1] وفي حديث البخاري أيضاً: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)[2] وفي صحيح مسلم عن جابر، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار)[3] وغير ذلك من الأحاديث الدالة على توحيد العبادة.

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات، فإن آمنا بالله تعالى وحده فهمنا أنه مستحق للعبادة وحده، واعتقدنا بأن الله وحده هو المتفضل على جميع العباده بخصائص الربوبية، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلا التي يستلزم العبادة لله تعالى وحده لا شريك له.[4]

3. توحيد الأسماء والصفات

أثبت السلف هذا التوحيد كما وصف الله تعالى به نفسه، وكما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تعطيل ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تمثيل.[5]

أسماء الله تعالى وصفاته من الغيب الذي لا نعرفه على التفصيل إلا بطريق السمع، لأنه لا نستطيع الإحاطة بالله تعالى علمًاً، كما جاء في قول الله تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) [طه: 110]. فيجب

---

(1) **صحيح البخاري**، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى؛ و(رقم حديث: 7373).
(2) **صحيح البخاري**، و(رقم حديث: 4497).
(3) **صحيح مسلم**، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار؛ و(رقم حديث: 93).
(4) انظر: الجبرين، **تسهيل عقيدة الإسلامية**، ص: 54.
(5) انظر: العبد اللطيف، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، ص: 117.

على العبد يؤمن بجميع ما ثبت من نصوص الشريعة من أسماء الله تعالى وصفاته، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم.[1]

ويقول ابن تيمية رحمه الله: التوحيد في الصفات، فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله: نفياً وإثباتاً.[2]

وجا في قول الله تعالى لإثبات هذا التوحيد الآيات الكثيرة ومنها: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: 180]. و(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [طه: 8]. و(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [الحشر: 24].

وله صفات مخصوصة تليق بألوهيته لا لغيره، جاء في الآيات القرآنية: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [النحل: 60]. و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: 11]. وغير ذلك.

ومن حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر).[3] وجاء حديث عن صفات الله في صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنا إذا أشرفنا على واد، هللنا وكبرنا وارتفعت أصواتنا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده).[4] وبعض الأحاديث نفت الصفات التي لا تليق بالله تعالى، كما قال رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في حديث الدجال؛ عن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور).[5] وقال رسول الله في صحيح مسلم: إن الله -عز وجل- لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة على توحيد الأسماء والصفات لله عز وجل.

---

(1) انظر: الجبرين، **تسهيل عقيدة الإسلامية**، ص: 87.
(2) انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 3/ ص: 3.
(3) **صحيح مسلم**، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع؛ و(رقم حديث: 2713).
(4) **صحيح البخاري**، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير؛ و(رقم حديث: 2992).
(5) **صحيح البخاري**، و(رقم حديث: 7131). و **صحيح مسلم**، و(رقم حديث: 2933).

بيّن السلف إثبات وحدانية الله تعالى وأقسام توحده بما أثبت سبحانه وتعالى عن نفسه وبما أثبت رسوله عنه، ونفى ما نفى الله تعالى عن نفسه وما نفى رسوله عنه. فلاحظنا أن أدلة إثبات وحدانية الله تعالى كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام-. وما ذكرنا من النصوص الشرعية تكفي لإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: إثبات وحدانية الله عند المتكلمين

التعريف بوحدانية الله تعالى عند المتكلمين، هي:" العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات: نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به. ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعاً. لأنه لو علم ولم يقر، أو أقر ولم يعلم، لم يكون موحداً..."[1]

يستدل المتكلمون بمناهجهم على إثبات وحدانية الله تعالى بمسلكين أساسيين، الأول: دليل التمانع، والثاني: النظر إلى الحادثات.

1. دليل التمانع

ويعرف هذا الدليل ببرهان التمانع، والتمانع هو حصول منع قدرة الإلهين. والغاية في دليل التمانع، هي: امتناع وقوع مرادين.[2]

وهو يقوم على افتراض تعلق إرادة وترجح الإلهين بشيء واحد، أحدهما لو يريد إيجاده، والآخر إعدامه، أو يريد أحدهما تحريكه، والآخر تسكينه، لو نفذ ترجح كلاهما لاجتمع النقيضان، أو إن لم تنفذ لتكون ارتفاعاً، وكلاهما محال، إن نفذ ترجح واحد منهما وإرادته أدى ذلك إلى عجز الآخر، فلذلك العاجز لا يكون إلهًا بل هو عبد.[3]

إن الله لو كان اثنين فإرادة أيّهما تتجاوز على الآخر فهو إله والآخر لا يكون إلهًا بل يكون عبدا مقهوراً، فقال الغزالي: "أن الله لو كان اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكون إلهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثاني قوياً قاهراً والأول ضعيفاً قاصراً ولا يكون إلهاً قادراً."[4]

---

(1) بدوي، د.عبد الرحمان(1997م)، **مذاهب الإسلاميين**، بيروت: دار علم للملايين، ص: 57.
(2) انظر: الجوينى، **كتلب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد**، ص: 57.
(3) انظر: الشافعي، أ.د.حسن(1997م)، **الآمدي وآراؤه الكلامية**، (ط1)، القاهرة: دار السلام، ص: 310.
(4) الغزالي، إحياء علوم الدين ، ص: 170.

ويقول الآمدى في كتابه: لو قدرنا وجود الإلهين، وقدرنا أن أحدًا منهما أراد تحريك شيء ما، والآخر تسكينه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما، أو لا تنفذ ولا واحد منهما، أو تنفذ لأحدهما دون الآخر. لو تنفذ إرادة كليهما أفضى ذلك إلى اجتماع الحركة والسكون في شيء واحد وفي حالة واحدة، وهذا محال، وإن لم تنفذ إرادة كليهما أفضى إلى عجز كل واحد منهما، فإذن من خلق المخلوقات، وإن تنفذ حركة أحدهما والآخر يكون عاجزاً بعجز قديم، والعجز لا يكون إلا المعجز عنه، وهذا يفضي إلى قدم المعجوز عنه أي سبحانه تعالى وهو ممتنع. وهو الإله الحق وما عداه عباد له، وهكذا ثبتت الوحدانية لله تعالى.[1]

وأثبت الإمام أبو الحسن الأشعري وحدانية الله تعالى بدليل التمانع وقال: إن صانع الأشياء واحد لأن الاثنين لا يحصل تدبرهما على نظام ولا يتسق على إحكام. يجب أن يلحق العجز واحدًا منهما؛ لأنه لو واحد منهما أراد أن يحيي ذا حياة والآخر أراد أن يميتها لا يكون مرادهما جميعاً، أو يكون مراد أحدهما دون الآخر. لأنه مستحيل أن يكون مرادهما جميعاً؛ لأن الحياة والموت لا يكون في الجسم الواحد وفي الحالة الواحدة، إذ لو لم يكن مرادهما جميعاً وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً. فذلك دليل على أن صانع الأشياء واحد.[2]

ولهذا قال سيدنا إبراهم عليه السلام للنمرود الذي أدعى الألوهية: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) [البقرة: 258]، فلما رأى النمرود أن إرادته لا تنفذ في هذا الشأن العظيم، والشمس تشرق وتغرب بانتظام لا خلل فيها كما يشاء الله تعالى، والكون كله يسير بانتظام كذالك. وأن إرادته هي التي تسير الكون بهذا النظام الكامل لجميع ما فيه، لو كان مع الله أحد لم يكن نظام كذالك ولفسد الكون كله. فعدم الفساد في الكون دليل على أن إلهه واحد وهو الله سبحانه تعالى عز وجل.[3]

فالمتكلمون يستدلون بدليل التمانع من القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء:22]. وقوله تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [المؤمنون: 91]. فابن كثير سلك في هذه الآية بدليل التمانع كالمتكلمين فقال: لو فرضنا خالقين، فأراد واحد تحريك الجسم والثاني سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، فالواجب لا يكون عاجزاً، وليس ممكن اجتماع مرادهما

---

(1) انظر: الآمدى، سيف الدين(ت 631هـ/ 1233م)، **غاية المرام في علم الكلام**، (تحقيق: حسن محمودعبد اللطيف)، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1971م، ص: 151.
(2) انظر: الأشعاري، **كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، ص: 20.
(3) انظر: القضاة، **المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد**، ص: 58.

لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان معًا في نفس الوقت وفي نفس الأشياء. وإما يحصل مراد أحدهما دون الآخر، من كان الغالب فهو الواجب، والآخر مغلوباً ممكناً ومفتقراً إليه. ولأنه لا تليق صفات الواجب للذي أن يكون مقهوراً. فلذلك الآية الكريمة قالت: (وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ).[1]

إن المتكلمين يثبتون بدليل التمانع؛ امتناع وجود الإلهين. إن وجود الإله الواحد الحقيقي يمنع اشتراك آخر معه، ولذلك يجب إله واحد أن ينفرد بصفاته التي تتعلق بألوهيته، إنه ليس لأحد صفات كصفاته ولا لأحد يشبه فعلاً كفعله. وقال الشهرستاني في كتابه: لو قدرنا إلهين؛ فإما صفاتهما الذاتية تكون مختلفتين أو متماثلتين، فلو كانتا مختلفتين يستحيل أن يكونا إلهين؛ لأن الصفة الذاتية تقدس الإله عن غيره. وإذا فرضناهما مختلفتين فإن الإله المتصف بصفات الذاتية الإلهية فهو إله وغيره ليس بإله، وإما يكونا متماثلين في الصفات الذاتية من كل وجه، فهذا محال لأن المتماثلين ليس يتميز أحدهما عن الآخر فإن حقيقتهما واحدة، وهذا ينافي الألوهية.[2]

وقال أيضاً عن أفعال الإله؛ إن الموجودات يخرجون من العدم إلى الوجود، وهناك يظهر فعل ترجح رجح الوجود الموجود فهذا يثبت وجود المرجح وليس في نفس الواحد الجواز، وترجحه ما يدل على مرجحين كل منهما يستقل بالترجح، لو لم يكن مستقلاً لم يكن إلهاً، لأنه لو قدرنا مرجحاً آخر في الترجيح بطل الاستقلال، وهو لا يكون مرجحاً لا بعلمه ولا بقدرته، بل علمه وقدرته يكون متعلقاً بإرادة غيره وترجيحه، لذلك إذا تعلق علمه بغيره فإذن محال أن يكون مرجحاً، فبهذا خلال المعلوم أدركنا محال الوقوع وجود الإلهين في نفس الأمر. وهو واحد في كل أفعاله وصفاته، وكل شيء مفتقر إليه، والفقر ينافي الألوهية، فلذلك هو إله واحد أحد لا إله غيره ومستحيل أن يكون شريكاً في أفعاله و أوصافه الذاتية.[3]

وإن الذين يدعون الألوهية، لا يوجد عندهم أي صفات ذاتية للألوهية، لأنهم عاجزون والمخلوق لا يوجد لديه إرادة ولا قدرة. كما قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (.) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج:73- 74].

---

(1) انظر: ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر(ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، 5م، (تحقيق: سامي بن محمد السلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، ص: 491.

(2) انظر: الشهرستاني، **كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام**، ص87.

(3) انظر: الشهرستاني، **مصدر السابق** ، ص: 88.

2. النظر إلى الحادثات

اتبع المتكلمون المنهج الثاني لإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهو الحادثات نفسها والنظر إليها يدل على وحدانية الله، حيث قال المتكلمون: "الطريق الموصل لمعرفة الله ليس إلا وجود الحادثات، لضرورة افتقارها إلى مرجح ينتهي الأمر عنده، وهي لا تدل على أكثر من واحد".[1]

مشاهدة الحادثات والتفكر فيها يوصل إلى معرفة محدِث واحد أحدثها، ووصل علماء علم الكلام بهذا المنهج إلى إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، ويرى المتكلمون؛ أنه لو فرضنا وجود إلهين لوجود الحادثات إما أن يستند إليهما في وجوده أو لأحدهما؛ وليس جائزًا أن يستند إليهما، لأنه لو يستند إليهما ليضاف حدثهما بجهة عدم استقلالهما. لذلك فوجود الحادثات يستند إلى ذات واحد منهما، وهو الله تعالى.[2]

ووحدة الأثر التي نشاهد على الموجودات تدل على وحدة المؤثر، لو وجدنا خطّين متطابقين فنقول إنهما لشخص واحد، وكذلك فإذا وجدنا توقيعين متماثلين فنحكم أنهما لنفس الشخص الواحد. فإذا تطابق التوقيعان كان الموقع واحداً، والبصمات متطابقة ليكون لشخص واحد، وهكذا... وقد أثبتت العلوم الحادثة أن طريق التصميم الموجودة في جميع الكون واحدة، فكل العالم مؤلف من ذرات، وأنها مركبة بطريقة واحدة، أي مختوم بنفس الختم، وذرة نواة تدور حولها جُسَيمات، والقمر يدور حول الأرض، والأرض تدور حول الشمس، وعند كل الموجودات حركة كذلك ويدل قانون الحركة على أنه صدر من ذات واحدة. والأرض تدور حول نفسها من اليمين إلى اليسار، والحجاج الذين يطوفوا حول الكعبة أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يطوفوا حول الكعبة من اليمين إلى اليسار، تدل على أن الخالق والمشرّع واحد وهو سبحانه وتعالى عز وجل.[3]

وإذا علمنا أن الله تعالى هو واحد ويجب له الوحدانية، فتأثر الاختراع والإيجاد الموجودات من العدم لا يصح لأحد إلا لواحد صمد وحده عز وجل، فلا تأثر لقدرتنا في أفعالنا الاختيارية، كحركاتنا وقيامنا وقعودنا وغير ذلك، بل جميع أحوالنا مخلوقة، وكذالك أحوال جميع الأشياء مخلوقة له سبحانه وتعالى.[4]

---

(1) الآمدى ، **غاية المرام في علم الكلام**، ص: 152.
(2) انظر: **مصدر السابق**، ص: 154.
(3) انظر: القضاة، **المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد**، ص: 57.
(4) انظر: العدوي(الدردير)، أحمد بن محمد(2004م)، **شرح الخريدة البهية في علم التوحيد**، (ط1)، (تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دمشق: مكتبة دار الدقاق، ص: 61.

المبحث الثاني: إثبات وحدانية الله في منهج بديع الزمان سعيد النورسي

يتكون أكثر آثار بديع الزمان سعيد النورسي من أساس العقيدة الإسلامية وخاصة مسألة الإيمان بالله تعالى ووحدانيته. وقد أثبت وحدانية الله تعالى بمنهج خاص له استفاده من القرآن الكريم. وهو يعطي جواباً لسؤال عن منهجه: والسؤال هو: إن علماء الكلام يثبتون الوحدانية لله تعالى بعد ظهورهم ذهناً على العالم كله الذي جعلوه تحت عنوان الحدوث والإمكان. وقسم من أهل التصوف لأجل أن يحصل على حضور القلب واطمئنانه قالوا: (لا مشهود إلا هو) وطلبوا نسيان الكائنات. وقسم آخر منهم قالوا: (لا موجود إلا هو) وأنكروا الكائنات لأجل سكون القلب. ولكنك تسلك مسلكًاً لهذه المشارب الثلاثة وتبين منهجًاً قويًاً من القرآن الكريم وتقول شعارًا لهذا المنهج: (لا مقصود إلا هو) و(لا معبود إلا هو). فالرجاء وضح هذا المنهج القرآني؟ وقال النورسي جواباً: جميع ما في تأليفاتي تبين ذلك المنهج القويم. وقال: أما الآن فأشير إشارة مختصرة جدًا لرغبتكم إلى حجة واحدة من حججه العظيمة: إن كل شيء في العالم يستند إلى خالقه. وكل أثر في العالم يدل على جميع الآثار من مؤثره هو. وكل اسم يتجلى على الموجودات يشير إلى أن جميع الأسماء إنما هي لمسماه هو. أي: إن كل شيء في الكائنات هو برهان وحدانية الله تعالى ونافذة على معرفته.[1]

ووضح النورسي معنى وحدانية الله سبحانه وتعالى وأحاديته: إن عظمة الربوبية الظاهرة في الكون، تثبت الوحدانية الإلهية، كما أن النعمة الربانية التي تطعم بالأرزاق المقننة حتى لجزئيات ذوي الحياة، تثبت الأحدية الإلهية. أما الوحدانية، أي: أن جميع الموجودات مُلك لصانع واحد، وكلها إيجاد موجِد واحد، وتتوجه إليه وحده. وأما الأحدية فهيى: تجليات أكثر الأسماء الإلهية في كل شيء. مثلاً: إن الشمس بضوئها تحيط بسطح الأرض كافة، وبهذه الصفة الإحاطة تبين مثال الوحدانية، وأن وجود ضوئها وألوانها السبعة وحرارتها، والانعكاس على كل شيء شفاف أو قطرة الماء يبين مثال الأحدية. وكذا تجليات أكثر أسماء الصانع في كل شيء وبخاصة في كل إنسان يبين مثال الأحدية.[2]

أثبت النورسي وحدانية الله تعالى بمنهجه الذي استفاده من القرآن الكريم ومشاهداته الخاصة به بأدلته العديدة. كما يلي؛

---

[1] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 415.
[2] انظر: **مصدر السابق**، ص: 288-289.

1. الانتظام والتوازن والإتقان في الكون

إن النظام الموجود في الكون لا شك هو أكبر دليل لإثبات وحدانية الله تعالى وهذا الدليل، هو أكثر دليل ذكر في القرآن الكريم وهذا النظام أيضاً أكبر دليل لإثبات وحدانية الله تعالى عند بديع الزمان سعيد النورسي كما أثبتنا آنفاً هو أكبر دليل لإثبات وجود الله تعالى عنده أيضاً.

إننا كلما فتحنا أعيننا ونظرنا في وجه الكائنات، لفت نظرنا إلى نظام عام كامل، وميزان دقيق شامل يتجلى في كل الأشياء. وإذا ما دققنا النظر، يلفت نظرنا التنظيم والميزان المتجددان، أي: أن ذاتاً واحداً يغير ويجدد ذلك النظام والميزان بمقدار.. فكل شيء عليه يتجلى هذا الانتظام والميزان يشير إلى رب واحد وخالق واحد.[1]

لو نشاهد ما على وجه الأرض جميعًا نرى؛ جودةً ونفاسة في كل المصنوعات رغم وفرتها غير المتناهية. وضمن هذا الوفرة تميزات للموجودات رغم اختلاطها. ونجد في هذا الاختلاط اتفاقاً وتشاباً في المخلوقات رغم البُعد فيما بينها. ونرى جمالاً رائعا في الموجودات ورعاية بالغة رغم السهولة المتناهية في الإيجاد. وفي هذه الرعاية التامة تقدير دقيق بالموازنة حسّاس بلا إسراف رغم السرعة في الإيجاد. وضمن هذا التقدير في الصنعة انتظام بديع رغم السخاء المطلق في إيجادها. فهذه الأمور كلها تدل دلالةً واضحةً على أن ذاتًا موجودًا هو واجب الوجود قدير ذو جلال، وتشهد على وحدانيته، وأحديته وكمال قدرته وجمال ربوبيته.[2]

وقال النورسي: عندما ننظر إلى العالم نراه كبستان عظيم، زينت بموجودات جميلة، والأجرام السماوية المنتظمة والمزينة، وجمعها تقول بلسانها الخاص معناً: نحن معجزات ذات قدير وجليل، ونشهد على وحدانية خالق حكيم وصانع عليم. وعندما ننظر إلى النباتات والأشجار نشاهد آلافًا من طوائفها بكل أشكالها المختلفة، وأثمارها المختلفة، وألوانها المختلفة، وتزيناتها المختلفة، ولكن كلها تعلن بانتظامها وأشكالها المزينة: نحن معجزات صانع واحد حكيم وأدلة على وحدانيته وشهداء عليها.[3]

و قال أيضاً إن الشمس نافذة مضيئة كنورها، لوحدانية خالق الكون. فالسيارات الاثنتا عشرة مع الكرة الأرضية، أي: المنظومة الشمسية تجري بنظام متقن، وبحكمة تامة، وبميزان دقيق، رغم

---

(1) انظر: جرار، **اللؤلؤ والمرجان في حكم بديع الزمان سعيد النورسي**، ج2/ ص: 58.
(2) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 784.
(3) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 290-291.

الاختلاف الشديد فيما بينها، من حيث صغرها وكبرها، ورغم التفاوت الواسع فيما بينها من حيث بعدها وقربها من الشمس، ورغم التنوع الهائل في سرعتها وحركاتها. فهذه السيارات كلها تجري مع الشمس ومرتبطة معها بقانون إلهي، وهذا القانون يدل على وحدانية الله تعالى ويثبت أنه لا شريك له في ربوبيته؛ لأنه لو كان له شريك في ربوبيته لفسد هذا النظام.[1]

لو كان في ملك الله شريك لظهرت علائم المداخلة باختلال نظام الكون، ولكن جميع المخلوقات من صغيرها وكبيرها، تسبح بلسان حالها وتنزّه الله سبحانه عن الشريك والنظير. وكذلك جو الهواء يسبحه ويشهد على وحدانيته بانتظام وظائف السحاب وبكلمة الرعد والبرق، والأرض أيضاً تسبح خالقها وتوحّده بكلماتها الحية من النباتات والحيوانات. وكذلك كل المخلوقات تسبح بإشارات ما يحمله من كيفيات ونقوش وما يظهر عليها من الأسماء الحسنى وتقدس تلك الأسماء ذا الجلال وتشهد على وحدانية الله تعالى.[2]

وإن أنواع الأزهار والأعشاب الجميلة واللطيفة المنثورة على التلال والسهول، كل منها يدل على الصانع الحكيم اللطيف ويشهد على وحدانيته، مثلما أن مجموعها يدل على عظمة سلطانه وكمال ربوبيته.[3]

كل شيء موجود في الكون لا شك لله تعالى وحده ويستند إليه لا يستند لغيره، مثلاً؛ لولم تُسند صورة الشميسات المشرقة وانعكاسات ألوانها المختلفة في القطرات أو قطع الزجاج إلى ضوء الشمس، لا بد عندئذٍ قبول شموس لا تُعد بدلاً من شمس واحدة. وهذا يقتضي التسليم بخرافة محالة، وكذلك لو لم تسند كل شيء من المخلوقات إلى الله تعالى، للزم قبول آلهة لا تحصى بل بعدد ذرات الكون بدلاً من الله سبحانه تعالى الواحد الأحد. أي ينبغي السقوط إلى هذيان الجنون.[4]

وكل الموجودات، لها احتياجات ووظائف مختلفة رغم هذه الاختلافات نرى تلبية احتياجاتها بروعة وانتظام في وظائفها، وهذا دليل على أن إدارتها بيد ربٍّ واحد هو الذي يعطي احتياجاتها، وهو الذي يدبر أمورها ويأمرها. قال النورسي: تأمل في هذه المصنوعات المنتشرة على وجه الأرض التي تملؤه بألف طائفة ونوع من أنواع الحيوانات والنباتات بأفرادها المتنوعة التي لا تحصى. تأملها جيداً، فإنها مع اختلاف أشكالها، واختلاف أرزاقها، وتنوع أجهزتها، وتباين وظائفها، وامتزاجها بعضها مع

---

(1) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 791.
(2) انظر: **المصدر السابق**، ص493.
(3) انظر: جرار، **اللؤلؤ والمرجان في حكم بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: ج1/ ص: 240.
(4) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص331.

البعض الآخر تشاهد: أن رزق كل ذي حياة يأتيه من كل مكان من حيث لا يحتسب، بلا خطأ ولا نسيان. فيعطي بميزان دقيق كل ما يحتاجه الفرد، وفي وقته المناسب. ونرى في هذا التدبير والإدارة المشاهدة دليل على أن وجه الأرض هي آية ساطعة للأحَدية، وختم واضح لوحدانية الله تعالى، بحيث إن مَن لم يكن موجِداً لجميع تلك الموجودات من العدم، ومدبراً لجميع أمورها في آن واحد، لا يقدر على التدخل في شيء منها، لأنه لو تدخل لأفسد تلك الإدارة والانتظام الواسع.[1]

نشاهد في الكون أن الموجودات كلها تلتزم بنفس الأمر الذي وظّفها به سبحانه وتعالى، مثلاً: عندما تصدر الأوامر الإلهية الخاصة بالتطهير والتنظيف، نرى كل الموجودات تلتزم بنفس الأمر التنظيف؛ أنواع الديدان والنمل تجمع الجنازات وتُنظف العالم، وأجفاننا الرقيقة تطهر أعيننا، والذباب يقوم بتنظيف أجنحته دائماً. وكذلك الرياح تنظيف وجه الأوض من نفاياتها، والمطر تسكن الغبار والتراب، وغير ذلك كل الموجودات تسمع نفس الأمر الإلهي وتلتزم بوظيفتها. فإن فعل التطهير هو فعل واحد، ويعبر عن الحقيقة الواحدة بذلك يظهر وحدانية الله تعالى بانتظامه مع أسمائه الحسنى.[2]

وأثبت النورسي في كتابه الكلمات أنه لا شريك لله تعالى في الكون، لا من شيء أصغر ولا من شيء أكبر، وألقى تمثيلاً فرضيًا وقال: لو نفرض شخصاً يمثل الشركاء الذين يتوهمهم جميع أنواع أهل الشرك والضلال من أمثال عبدة الطبيعة والمشركين والمعتقدين بتأثير الأسباب. ويفرض النورسي أن هذا شخص فرضي يريد أن يكون ربّاً لشيءٍ من موجودات العالم، ويدّعي التملك له. وهذا الشخص الفرضي يقول لنفسه إن الذرة أصغر شيء في الموجودات، وأستطيع أن أملك عليها، فقال للذرة أنا خالقك ومالكك ولكن الذرّة ردت عليه قائلة: إنني أؤدي وظائف وأعمال لا تعد. فادخل في كل مصنوع رغم اختلاف أنواعه واعمل فيه، فإن كنت أيها المدّعي مالكاً عليماً يحيط بجميع تلك الوظائف وصاحب قدرة شاملة توجه إليها جميعها، ولك حكم كامل على تسخيري وتوجيهي مع أمثالي من الذرّات... وكذا لو كنت تتحكم على جميع الموجودات التي أنا أعمل فيها وتتصرف فيها بانتظام تام... فلك أن تدّعي ملكية علي، وإلاّ فاسكت! إذ لا تقدر أن تتدخل في شؤوني فإذن إنك لا تستطيع أن تكون رباً لي؛ لأن ما في وظائفنا من النظام المتقن الكامل بحيث لا يقدر عليه من لم يكن ذا حكمة مطلقة، فلو تدخّل غيره لأفسد. فقال المدعي فإذن كوني ملكةً لنفسك، وقالت الذرة لو كان لدي علم محيط وقدرة شامل... ربما كنت مثلك أدّعي الحاكمية لنفسي! إبعد عني فليس لك موضوع فينا.[3]

---

(1) انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 491-492.
(2) انظر: **مصدر السابق**، ص: 471-472.
(3) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 695-696.

ويئس داعية الشرك من الذرة، و سأل من كريةً حمراء من الدم، وردت عليه بلسانها كالذرّة، ويئس داعية الشرك من كرة حمراء، ثم سأل خليةً في الجسم ثم الجسم الإنساني ثم من النوع الإنساني، ثم من الكرة الأرضية، ثم من الشمس، وكذلك سأل الكون كله، وكل الذي سُئل منهم يردون عليه بلسانهم ليس لديهم أي خلل ليدخل فيهم الشريك. وهكذا أثبت النورسي أن لا شريك لله تعالى في الكون لا من أصغر شيء ولا من أكبره. فثبتت وحدانية الله تعالى ليس في إدارته مداخلة من غيره ولا مثقال الذرة.

2. خالق الجزئيات هو خالق الكليات

نشاهد في الكون كل شيء يدل على وحدانية الله تعالى؛ كما أن للصانع الخبير سكة كبرى وعلامة عظمى على العالم كله، وكذلك وضع سكة وحدانيته على كل جزء من أجزاء الكون وعلى كل نوع من أنواعه أيضاً.[1]

وكل الموجود رسالة وختم من الله تعالى لوجوده ووحدانيته؛ فإن كل زهرة وكل عشب وكل حيوان، إنما يمثل ختم الأحدية وسكة الصمدانية. فمثلاً: زهرة صفراء في حديقة ما. هذه الزهرة هي بمثابة ختم يدل على مصور الحديقة، فمن كان مالكًا لذلك الختم، فهو مالك لجميع أنواع تلك الزهور الموجودة على وجه الأرض كافة. لذلك كل الأشياء يشير إلى وحدانية الله سبحانه.[2]

إن خالق الكليات والسماوات والأرض لا شك هو خالق الجزئيات التي تتضمن في السماوات والأرض، وليس غيره. لأن تلك الجزئيات الصغيرة هي مثال مصغر لتلك الكليات.[3]

ندرك بأن الذي يصنع تفاحة واحدة لا يمكن أن يكون إلا الذي يدير كل الكرة الأرضية والليل والأيام والمواسم، لأن سكة الفطرة وختم الصمدية الموجودة على تلك التفاحة الواحدة، موجودة كذلك على تفاح الأرض كلها، وكذلك على سائر الثمار والنبات والحيوانات جميعها. لذا فإن صانع التفاحة الواحدة هو صانع أمثالها وجنسها من السكة الأرضية، وهو صانع ومالك الكرة الأرضية، وهو صانع مواسمها والربيع والصيف. فكل ثمرة إذن هي ختم واضح للوحدة، ويبرز ويشر إلى أن أمر الوحدانية قد ختم بأختام عديدة بعدد الثمار الموجودة. ذلك المالك ذو الجلال. لا شريك له ولا إله غيره.[4]

---

(1) انظر: جرار، **اللؤلؤ والمرجان في حكم بديع الزمان سعيد النورسي**، ج2/ ص: 63.
(2) انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 493-494.
(3) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 310.
(4) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 208.

إن الأفعال الموجودة في العالم كل واحد منها دليل على وحدانية الله تعالى؛ وضح ذلك النورسي بمثال: فعل الإيجاد أنه فعل خالق الكون مباشرة؛ فالفعل المتوجه إلى النحلة يدل بجهتين على خالق الكون وحده. الجهة الأول: أن قيام تلك النحلة مع أمثاها في جميع الأرض بالفعل نفسه يدل على أن فعل الجزء هذا الذي يتحقق في نحلة واحدة هو نفس الفعل الذي يحيط بسطح الأرض كافة. أي من كان فاعلا لذلك الفعل العظيم فهو صاحب ذلك فعل الجزئي. والجهة الثانية: لأجل أن يكون أحد فاعلاً لهذا فعل الجزئي الذي هو متوجه إلى إيجاد نحلة واحدة، ينبغي أن يكون عالماً لشروط حياة تلك النحلة وعلاقتها مع الكائنات، فإذن يجب أن يكون ذا قدرة على الكون كله ليجعل ذلك الفعل كاملاً. لذلك فالفعل الجزئي يدل من جهتين على الله خالق كل شيء وحده، ولا يتداخل في تلك الأمور يد أخرى، لأنه لو يتداخل يجب أن يحكم على الكون كافة بالعلم والحكمة التامة لكي لايفسد الكون فهذا محال لذلك لو يتدخل لفسدت.[1]

وإن الذرة التي تؤدي وظائف في العين ليس بأقل صنعة وإبداعاً من النجم، وكذلك ليس الجزء بأقل جزالة من مجموع الكل. فمثلاً ليس العين بأقل إتقانا من الإنسان، وليس الإنسان بأقل صنعة من جنس الحيوان الكلي، ولا البذرة التي هي فهرس الشجرة بأقل إتقانًا من شجرتها، وعلى ذلك قس الموجودات كلها. لذلك فالذي خلق الذرة إذن هو الذي خلق النجوم لا يعجز عنها. والذي خلق الإنسان لا شك أنه قادر على خلق الحيوانات كلها بسهولة. فمحال أن يكون غيره يخلقها. فهو الله تعالى صانع الموجودات كلها وحده.[2]

كل أثر دليل على خالق الآثار وخاصة الكائن الحي، هو مثال مصغر للكائنات، وهو نواة للعالم وثمرة للكرة الأرضية. لذا فخالق ذلك الأثر لا بد أن يكون هو خالق الكائنات أيضاً. لأنه لا يمكن أن يكون خالق الثمرة غير خالق شجرتها.[3]

وكل ذرة تشهد على وحدانية الله، بحركاتها وإنسجامها مع النظام العام الجاري في الكون، وتوطن الذرة في الكون كأنها موطنها. لذا من كانت الذرة له فجميع الأكوان التي تسير الذرة فيها أيضاً له. لأنها تدخل إلى كل الأماكن دون مانع. وتدل على أن كل الأماكن ملك لذات واحدة.[4]

---

[1] انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 526.
[2] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 664-665.
[3] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 415.
[4] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 646-647.

إن الخالق العليم، بأي قانون يحرك الذرة فإنه يحرك بنفس القانون الكرة الأرضية بل تتحرك العوالم كلها بنفس القانون. وكذا، بأي قانون يحيي الذبابةً، فإنه تعالى يحيي بنفس القانون سطح الأرض كلها في الربيع، وسيحيي المخلوقات بنفس القانون في يوم الحشر. فقوانين الربوبية كثيرة جداً تجري في العالم. وهذه القوانين كلها تدل على وحدانية الله تعالى.[1]

3. عبادة الموجودات والكائنات

إن الكمالات التي هي سبب المدح والثناء، في المخلوقات كافة، تختصّ بالله وحده سبحانه، لذلك فالحمد أيضاً له وحده لا لغيره، فكل ما صدر وما سيصدر من مدح وثناء من الأزل إلى الأبد، يخصّه وحده. لأن كل ما هو سبب المدح والثناء من الجمال والكمال، وكل ما هو مدار الحمد، هو الله تعالى يخصّه تعالى وحده.[2]

إن الصانع قد خلق العالم خلقاً بديعاً، بحيث جعل العالم على صورة المسجد الكبير، وخلق الباري سبحانه الإنسان في أحسن تقويم، وأعطى له العقل، بحيث يقرأ آيات الكون ويشاهد هذه الكائنات ويدرك عباداتها العمومية وهو يعبد ويسجد سجدة أمام معجزات صنعته. فالإنسان هو عابد وساجد في ذلك المسجد الكبير بما يشعر في فطرته من العبودية والخضوع له. فهل ممكن أن يكون المعبود الحقيقي للعابدين والساجدين غير الصانع الواحد الأحد؟[3]

يسبح الكون كافة بلسان أحوالها أو أقوالها، ليس في الكون شيء بدون ذكر. كمال قال سبحانه وتعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر:1]. وقال النورسي عن ذكر الموجودات قائلاً: أيها المؤمون نسلّم آذاننا للإيمان، لنستمع من الكائنات إلى الأنغام اللذيذة، إن كل أصوات الموجودات هي أذكار وتسبيح وحمد وشكر. فترنيمات الرياح ونغمات الأمواج.. تسبحات سامية جليلة وأهازيج الأمطار وسجعات الأطيار.. تهاليل عناية ورحمة، تحول الكائنات كافة إلى موسيقى رفيعة. إن العالم بصوت الأشياء يقول معنا: أنا موجود، ويقول: أيها الإنسان الغافل! لا تحسبني جامداً، أنا ذاكر وعابد لذات الموجود الواجب الوجود والواحد الأحد.[4]

وجميع ذوي الحياة خُلقوا على أتم نظام وامتثالهم للأوامر الإلهية امتثال عبد موظف. إن جميع العبادات الموجودة المشاهدة تشير إلى المعبود الحق وإلى وحدانيته. وإن جميع العبادات هي نتيجة

---

(1) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 363-364.
(2) انظر: جرار، **اللؤلؤ والمرجان في حكم بديع الزمان سعيد النورسي**، ج2/ ص: 63.
(3) انظر: **مصر سابق**، ج2/ ص: 60.
(4) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 881-882.

إخلاص العارفين في عبوديتهم. والشكر النابع من قلوب الشاكرين، والأذكار التي ترطب ألسنة الذاكرين، والحمد الذي يلهج به الحامدون، ورغبات المريدين الخالصة في الله، وجهود إراداتهم في السير إليه... كلها تدل على وجوب الوجود لذلكم المعبود، المذكور، المشكور، المحمود، المحبوب، المقصود، وتدل على كمال وحدانيته وربوبيته.[1]

4. الوحدة في الكون

إن الكون العظيم مليء بالمخلوقات المتعددة، وفي كل الأيام أو الفصول أو العصور يذهب القديم ويأتي الجديد تلو الآخر. ونرى هذه المخلوقات كافة تُخلق بكثرة وسهولة مطلقة، والسهولة الموجودة في الإيجاد تدل على الموجِد الواحد، لأنه لو لم يخرج من اليد الواحدة لصعب وجود أصغر شيء كوجود العالم الأكبر.

وإن لم يسند أمر الموجودات كلها إلى واحد أحد، فسيحال خلق كل شيء إلى ما لا يحدُّ من الأسباب. وسيكون إيجاد شيء واحد مشكلاً كخلق الموجودات كلها.[2]

استنبط بديع الزمان سعيد النورسي هذا دليلًا لإثبات وحدانية الباري من الآية القرآنية الكريمة: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [لقمان:28]. و قوله تعالى:(وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [النحل:77].

إذا أسندت المخلقات كلها إلى واحد أحد، تحصل السهولة بدرجة الوجوب، وإن أسندت إلى صانع الكثير والأسباب العديدة تظهر مشاكل وصعوبات بدرجة الامتناع. لأن شخصاً واحداً، لن يكون ضابطاً، يعطى الوضع المطلوب ويحصل على النتيجة التي يريدها، لكثرة من الجنود، بحركة واحدة وبسهولة تامة، بحيث لو أحيل ذلك الأمر إلى أفراد الجيش لتعسر تحصيل تلك النتائج إلا بصعوبة عظيمة. فما نرى في هذه العالم من الأفعال السير والانجذاب والدوران، والفصول الأربعة واختلاف الليل والنهار، كل هذه الأفعال لو أسندت إلى الوحدانية وإلى ذات واحدة أحدية لسهلت كل الأفعال بسهولة مطلقة. لو أسندت إلى الأسباب الكثيرة والطبيعية، فإن دور الذرة يكون صعباً كدور الشمس وخلق الذباب يكون صعباً كخلق الحيوانات كلها وكذلك خلق الزهرة بقدر خلق الربيع.[3]

---

(1) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 775-776.
(2) انظر: جرار، **اللؤلؤ والمرجان في حكم بديع الزمان سعيد النورسي**، ص: ج1/ ص: 246.
(3) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 21.

إن السهولة في الوحدة يبلغ بدرجة كبيرة، بحيث يسهل ورود تجهيز جيش كامل من مصنع واحد، كسهولة تجهيز جندي واحد. وإذا أخذ كل الأجهزة المختلفة لجندي واحد من المصانع المختلفة، فإن تجهيز جندي واحد لا يمكن إلا بألف مشكلة. وإدارة ألف جندي إذا أسندت إلى ضابط واحد، تسهل سهولة كجندي واحد، وإذا أسندت إدارتهم إلى عشرة ضباط أو إلى الجنود أنفسهم، فيحدث كثير من المشاكل والاختلاطات. كذلك الأمر إذا أسند كل شيء إلى الله تعالى وحده فإنه يسهل كسهولة الشيء الواحد، وإذا أسند إلى أسباب العاجز فإن أمر كائن واحد يكون صعباً كالأرض كلها. أي: أن في الوحدة سهولة بدرجة الوجوب، وفي الكثرة صعوبة بدرجة الوجوب، وفي الكثرة الصعوبة بدرجة عدم الإمكان.[1]

ووضح النورسي هذه المسألة بتمثيل أخر؛ صديقان يرغبان في كتابة بحث عن معلومات جغرافية حول بلاد لم يشاهداها من قبل، فأحدهما ينتسب إلى ملك تلك البلاد ويدخل في دائرة الاتصالات، ويتم معاملات ربط خط هاتفه، ويتمكن بهذه الوسيلة أن يتصل من أرجاء تلك البلاد ويتسلم منها المعلومات. وهكذا كتب بحثاً في غاية الجودة والعلمية بمصروف بسيط. وأما الآخر، فإما أنه سيسيح في تلك البلاد كلها طوال خمسين سنة ويلقى المشاكل والمصائب ليشاهد تلك الأماكن بنفسه، أو يصرف ملايين الليرات ليمد أسلاك الهاتف، ويكون مالكاً لأجهزة المخابرة كما للملك كي يكون بحثه بجودة بحث صاحبه. (ولله المثل الأعلى) إذا أسندت المخلوقات غير المحدودة إلى الواحد الأحد، فكلها عندئذٍ يكون مظهراً وموضع تجلٍ من ذلك النور الإلهي، فيمد علاقات ارتباطه بدساتير علمه وبقوانين حكمته، وعندها يرى كل شيء بحول الله وبقدرته، وبتجلٍّ ربانيٍّ يكون بمثابة وجهه المتوجه إلى كل شيء وبصره الناظر إلى كل شيء. وإذا قطع ذلك الانتساب، ينقطع كل شيء من المخلوقات عن ذلك الشيء. وفي هذه الحالة عليه أن يكون صاحب ألوهية مطلقة ليتمكن من أن يجري ما يجري في الوضع الأول.[2]

أدركنا بتلك التمثيلات أن السهولة المطلقة موجودة في إيجاد الأشياء تدل على خالق وموجِد واحد أحد، وكذك ممكن أن نكثر أمثلتنا لهذه الحقيقة، ووضح النورسي ذلك الموضوع بأمثلة كثيرة ليقرب إلى عقولنا. وقد أثبت النورسي بهذه الطريقة وحدانية الله تعالى وصمدانيته.

---

[1] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 660-661.
[2] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 316-317.

5. إختلاف صور الموجودات والكائنات

إن الله سبحانه وتعالى فتح صورة جميع الموجودات وبين العلامات الفارقة من أفرادها، وهذه العلامات كلها آية لوجوب وجوده ولأحديته، كما قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) [الروم: 22].

إن تشخصات الوجه ووجود العلامات الفارقة المميزة لكل فرد عن الآخر، والمميزات في الألسنة، دليل على علم الله وحكمته ووحدانيته بالبداهة.[1] وعلى وجه الإنسان نشاهد علامات وحدانية، تميزه عن جميع الوجوه الأخرى في الكرة الأرضية كافة. بل تشاهد على وجه كل مصنوع علامة توحد. أن كل كائن حي هو ختم وحدانية وطغراء صمدية بنفسه.[2]

ونشاهد على وجه هذا العالم، خلق حكيم في غاية الحكمة، ونشاهد فعالية منتظمة في غاية النظام، ونشاهد إحسانات في غاية الشفقة والكرم، ونشاهد بعين اليقين فتّاحية في غاية الوزان، أي: إعطاء كل شيء ما يناسبه من شكل ولباس ما يناسبه من صورة. فهذه الأحوال تثبت باليقين وجوب وجود ربٍّ ذي جلال، خلّاق، فعّال، وهّاب، فتّاح، بل تشعر بوحدانيته.[3]

إن فتح الصور دليل على التوحيد، ومعجزة للقدرة الإلهية، كما جاء في قوله تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) [الزمر:6]. وقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (.) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: 5-6].

واستدل النورسي بهذه الآيات القرآنية لحقيقة فتح الصور قائلاً: نرى في فتح صور الموجودات له من الإحاطة والإتقان ما لا يمكن أن يملك هذا الفعل المحيط سوى الواحد الأحد القادر الذي يرى كل شيء، وخالقه؛ لأن فعل فتح الصور يحتاج إلى وجود في منتهى الإحاطة، ومنتهى الدقة، ومنتهى الحكمة ضمن القدرة المطلقة التي هي حاضرة وناظرةً في كل آن وفي كل مكان. فقدرة كهذه لا يملكها إلا الخالق الواحد الأحد الذي كل شيء بيده. فجاء في الآية (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) فإن خلق الإنسان، وفتح صوره، في أرحام الوالدات، واحداً واحداً، بانتظام وتميّز، وبميزان وزينة، دون اختلاط أو نقص دليل واضح على الوحدانية. وإحاطة هذه الأفعال وشمولها في وجه الناس كافة والحيوانات كافة، وفي

---

(1) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 711.
(2) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 37.
(3) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 282.

الأرض كافة. لذلك هو أقوى برهان على التوحيد؛ لأن الإحاطة هو بذاته وحدة لا يترك مجالاً للشرك.[1]

وقال: إن سيماء الجنين المادي والمعنوي، أي: سيماء وجهه واستعداده يدل على وحدانية الله تعالى وأحديته، إذ الجنين يشهد على وحدانية خالقه بتطابق أعضائه الأساس وبتوافق أجهزته الإنسانية مع سائر أجناسه. فذلك الجنين ينادي معناً بصراحة قائلاً: إن الذي أعطى لي هذه السيماء في الأعضاء هو الخالق الذي أعطى لجميع الأجناس الذين يشبهونني في أساسات الأعضاء. والجنين يتميز أيضاً بسيماء وجهه الشخصية فيشير إلى اختيار خالقه وإرادته الخاصة ومشيئته المطلقة. فلا يمكن أن يحيط به سوى صانعه صاحب العلم الأزلي. ولذلك فإن سيماء الجنين الوجه والاستعداد دليل على وحدانية ربّانية وحجة الإرادة الإلهية.[2]

وأيضاً قال: إن وجه إنسان واحد يتضمن من العلامات والتمايزات الفارقة عدد أفراد الإنسان كلهم الماضية والآتية، مع التوافق في أساسات أجزاء الوجه. فالتوافق في أساسات أعضاء أفراد الإنسان يدل على أن الخالق واحد أحد. والتخالف بين أفراد الإنسان في تشخيصات الوجه يدل بالبداهة على خالق مختار حكيم.[3]

وقد لاحظنا أن حقيقة فتح الصور وتشخيصات الوجه دليل واضح على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وبينت لنا مع وحدانيته أسماءه الحسنى؛ كخالق، رحيم، كريم، حكيم، عليم، بصير... وغير ذالك من أسمائه الإلهية.

6. الحاكمية ترفض الإشتراك

إن الإنسان كله يشعر بالحاكمية الجزئية في نفسه ويحاول أن يطبّق هذه الحاكمية؛ يحكم الفرد لأموره الخاصة به، والأب له حاكمية في بيته، ومدير المدرسة له حاكمية في المدرسة، والوالي له حاكمية في المدينة والملك له حاكمية في البلاد... فكلهم يرفضون المداخلة في أمورهم سواهم. إن الإنسان العاجز إذا لا يقبل المداخلة البسيطة لأموره وحاكميتة الجزئية، فكيف يمكن أن يقبل الله سبحانه وتعالى الذي هو مالك الملك، والحاكم المطلق مداخلة لحاكميته؟

---

(1) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 200.
(2) انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 156.
(3) انظر: النورسي، **المثنوي العربي النوري**، ص: 296.

بيّن النورسي حقيقة الحاكمية كيف لا تقبل مداخلة الآخر قائلاً: إن الآميرية تقتضي أن ترفض المشاركة والمنافسة والمداخلة؛ لو كان مختاران في القرية لفسد نظام القرية، ولو كان مديران في الناحية الواحدة فيختلط الناحية ويسلب راحة سكانها، وإذا يكون سلطانان في البلاد الواحدة فتصاب بالمشاكل كل أركان البلاد. فلئن كان الإنسان الذي هو محتاج إلى معاونة الآخرين، ولديه جزء من الآمرية، لا يقبل مداخلة أحدٍ في شؤونه، ويرفض المنافسة رفضاً شديداً. لئن كان الإنسان المحتاج إلى معاونة الآخرين هذا شأنه فكيف بحاكمية السلطان الأعظم وآمرية القدير المطلق ربّ العالمين؟ قِس بنفسك، أن الوحدة من لوازم الألهية، ومقتضى الربوبية.[1]

وقال: إن الإنسان العاجز، لعجزه وضعفه يحتاج إلى معاونة غيره، مع هذا حال بعض الملوك والأمرين قتل أخيه ظلماً أو بنيه لأجل حاكمية مؤقتة جزئية، فهذا الحال دليل على أن الحاكمية لا تقبل المنافسة قطعاً. فلئن كان الإنسان العاجز لا يرضى مداخلة لحاكميته الجزئية، فلا يمكن أن يرضى ذات ذي الجلال، والقدير المطلاق، ومالك الكون كله تدخلاً أو شركاً في حاكميته المقدسة.[2]

ما دام سلطان العوالم صاحب الحاكمية المقدسة ومالكية ذا عزة، فلا يسمح لشريك أن يتدخل في أمور ملكه العظيم، بذلك لا يظهر عجزه ونقصه. ولا يترك الإنسان الذي هو فاكهة شجرة الكونية إلى يد أغيار، ولا يسمح بمقدار قليل بمداخلة يد الأغيار في شؤونه الحكيمة. ولا يترك نتائج تلك الثمرة التي هي خليفة الأرض إلى الطبيعة والمصادفة. فسبحان الله وتعالى علواً كبراً.[3]

7. رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

أرسل الله تعالى الأنبياء منذ بداية أول خلق الإنسان حتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأنزل الكتب والصحف إلى البشر لهدايتهم وإرشادهم إلى الحق والحقيقة. ودعوى الأنبياء كلهم وأهم أساسات تلك الكتب والصحف كافة، هي: إعلان ألوهية خالق الكائنات ووحدانيته. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".[4]

---

[1] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 806.
[2] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 184.
[3] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 793.
[4] الترمذي(1998 م)، **سنن الترمذي**، (بشار عواد معروف)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، رقم الحديث: 3585.

إن الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، قد أعلن التوحيد، وبين للبشرية كافة أبلغ بيان وأحكامه، وكذلك كل الأنبياء السابقين، وكل العلماء اللاحقين، الذين جاؤوا بعده وثمرة من شجرة نبوته يتفقون على صدقية النبي -عليه الصلاة والسلام- وعلى أنه بنفسه برهان على وحدانية الله تعالى، لأن كل السابقين واللاحقين أجمعوا على نفس دعوى النبي -عليه صلاة والسلام- وهي: (لا إله إلا الله) وكل الذي جاؤوا من قبله وبعده قالوا وأعلنوا بنفس دعوى. وأثبت الرسول الأكرم -عليه الصلاة والسلام- بحياته أن أكبر حقيقة هي الإيمان بوحدانية الله عز وجل.

إن النبي عليه الصلاة والسلام رفع أعلام التوحيد على رؤوس الكائنات، وأثبت لكل العالم، وفصّل ما أجمله الأنبياء السابقون عليهم السلام، فلذلك فأن حقيقة النبوته دليل على التوحيد كما أن حقيقة التوحيد دليل على حقانيته.[1]

وقال النورسي عن دعوى رسالة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام: إن النبي عليه الصلاة والسلام، يملك قوة إجماع الأنبياء جميعهم وأدلة العلماء الصادقين كلهم، فقد ركّز بيقين راسخ كل دعواه، على وحدانية الله سبحانه وتعالى.[2] وقال: إن النبي عليه الصلاة والسلام، الذي هو برهان التوحيد الناطق، قد أعلن التوحيد وأظهره بجلاء، وجميع سيرته دليل على ذلك، وفتح بقوة النبوته نافذة نورانية واسعة عظيمة للعالم الإسلامي إزاء معرفة الباري سبحانه، فبدأ يطلع منها ملايين الأصفياء والصديقين والعلماء المحققين أمثال: الإمام الغزالي والإمام الربّاني الشيخ الكيلاني، فهؤلاء وغيرهم من العلماء كلهم يتطلعون من هذه النافذة المنورة التي هي دليل على الوحدانية.[3]

نعم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هو أكبر دليل ناطق لوحدانية الله تعالى، لأن أهم أساس الدين الذي جاء به ودعواه في طول حياته هو وحدانية الله تعالى وعبوديته. وشرح وفصّل لأتباعه هذا التوحيد، لم يشرح قبله أحدٍ مثله. ورمى نفسه إلى التهلكة في سبيل تبليغ دعوى التوحيد، فلذلك فإن الرسول الأكرم -عليه الصلاة والسلام- لا شك هو برهان عظيم على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

---

(1) انظر: النورسي، **المثنوي العربي النوري**، ص: 306.
(2) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 608.
(3) انظر: **مصدر سابق**، ص: 814.

الفصل الثالث: منهج النورسي في الرد على التيارات المعاصرة

المبحث الأول: منهجه في الرد على الإلحاد

المطلب الأول: الإلحاد

أ. تعريف الإلحاد

الإلحاد في اللغة: من لَحَدَ القبرَ، يلحده لحداً وألحده: عمل له لحداً. وكذلك لَحَدَ الميتَ يلحده، أي دفنه. ولحد في الدين: مالَ وعدَل، الملحد العادل عن الحق الذي يدخلُ فيه ما ليس منه، يقال قد ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه، وألحد: جادل وظلم.[1] "وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء."[2]

والإلحاد في الاصطلاح: هو الميل عن الحق والانحراف عنه بشتى الاعتقادات والتأويلات الفاسدة، والانحراف عن صراط الله، والحركة المخالف لحكم الله.[3]

والإلحاد هو "إنكار وجود الله، ولكن الناس يطلقون هذا اللفظ تارة على إنكار وجود الله، وتارة على إنكار علمه، وعنايته، أو قدرته، وإرادته، ويكفي أن ينكر المرء أصلاً من أصول الدين أو اعتقادا من الاعتقادات المألوفة، أو رأيا من الآراء الشائعة، حتى يتّهم بالإلحاد".[4]

وقال عبد الرحمن حبنكة الميداني إن المراد بمعنى المصطلح في هذا العصر، هو: إنكار وجود خالق لهذا الكون، متصرف فيه، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، ويدبر أمره بعلمه وحكمته.[5]

وقال محمد قطب: "الإلحاد (بمعنى إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق أو أن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت) بدعة جديدة في الضلالة فيما أحسب، لم توجد من قبل في جاهليات التاريخ السابقة."[6]

---

(1) انظر: الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(2010م)، **لسان العرب**، 3م، بيروت: دار صادر، ص: 388-389.
(2) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت 1205هـ/1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط2، 9م، (تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1971م، ص: 136.
(3) انظر: الدوسري، شيخ عبد الرحمان(1982م)، **الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة**، (ط1)، كويت: مكتبة دار الأرقم، ص: 40-41.
(4) صليبا، د.جميل(1982م)، **المعجم الفلسفي**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص: 119.
(5) انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة(1991م)، **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، (ط2)، دمشق: دار القلم، ص: 433.
(6) قطب، محمد(2008م)، **مذاهب فكرية معاصرة**، (ط10)، القاهرة: دار الشروق، ص: 599.

وجاءت كلمة الإلحاد في القرآن الكريم بمعنى؛ الميل والعدول عن الحق، والظلم: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: 180]. وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [فصلت: 40]. وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [الحج: 25].

ب. ظهور الإلحاد وأسبابه

إن ظهور الإلحاد تصل إلى أول عصور البشرية، لذلك أرسل الله الرسل إلى كل الأقوام. ولكن فكر الإلحاد كان موجودًا في نفس الأشخاص ولم يكن موجودًا بشكل جماعي كدولة. وهذا الفكر دام وتغير من العصور الأولى إلى يومنا هذا.

نرى انتشار الإلحاد في العصور الوسطى بدأ في أوروبا؛ وفي تلك العصور كانت كل السلطة بيد الكنيسة الكاثولكية، ودين المسيحية لم يكن دين الفرد بل كان دين المؤسّسات، إذ إنها تنادي بضرورة قيام الواسطة بين الله والفرد عبر رجال الكنيسة، ولا إمكان لوجود خلاص خارج الكنيسة. لذلك فإن مؤسسات الكنيسة أصبحت نظامًا دينيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وأصبحت السلطة بيد طبقة الأغنياء ورجال الدين والدين المسيحي أصبح دين الفقراء. وهكذا انقسم المجتمع الأوربي إلى طبقتين متناقضين. فقد كان الفقراء يعاملون معاملة البهائم والظلم الشديد من قبل أسيادهم، وكانت الكنيسة صامته أمام تلك الحال. وكان لا يجوز لشخص من الطبقة التي ولد فها أن ينتقل إلى طبقة الأسياد، وقد ظنّوا هذا من تمام الإرادة الإلهية. وهذا الوضع جعل طبقة الفقراء تبتعد عن الدين وتثور على السلطة والكنيسة.[1]

في أواخر العصور الوسطى للكنيسة، بدأت النظريات النقدية العقائدية لبعض مفاهيم الكتاب المقدس ورجال الكنيسة. وكانت طريقة التفكير والبحث في المسألة الأخلاقية، لا تفترق بطريقة المفكرين بالروح الديني. وفي قرن 17م قد استشعر بعض الفلاسفة شكًا عميقا نحو تلك الطريقة الأخلاقية. وأما

---

[1] انظر: بكلي، محمد الأمين مصطفى(2015م)، **الكنيسة وأثرها في ظهور الإلحاد في أوروبا**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص: 205-217.

في القرن 18م فقد بدأت الحركة تأخذ شكل العداوة العارمة نحوها، وأصبحت تهدد بتدمير كل شيء من العقيدة.[1]

فقد انتشر الإلحاد خلال القرون الثلاثة الأخيرة، وجاء نتيجة للصراع بين الكنيسة والعلم في أوروبا، وهذا الصراع انتهى بانتصار العلم وانهزام الكنيسة. اتخذ المفكرون من ذلك الوقت هذا الموقف ذريعة لرفض الدين تماماً وإنكار حقائقه وخاصة الإيمان بالله.[2]

انتشر فكر الإلحاد إلى العصور المتأخرة، وبعض الفلاسفة بدأ ينشر هذه الأفكار في المجتمع المسيحي وألّفوا الكتب لأجلها، كان "نيتشة"[3] أكثر المتحدثين باسم الإلحاد في العصر الحديث قدرةً على تعبير. وهو الذي أعلن " موت الإله في القرن العشرين". لا شك سيطر نيتشة بهذا الفكر على عقل القرن العشرين فكرياً وفلسفياً.[4]

وكان لليهود دور كبير لانتشار الإلحاد في أوروبا؛ سخّر اليهود فعلاً فريقاً من أذكيائهم وشياطينهم، لوضع أفكار تُسمى بنظريات حديثة، أو إحياء أفكار قديمة، ووضعها في نظريات علمية وفلسفية، تنقض بالمغالطات والكذب والتزيف المبادئ العلمية والمنطقية التي جاءت بها الأديان السماوية الصحيحة. وأسس اليهود المؤسسات و الإجراآت لنشر الإحاد.[5]

وزاد انتشار الإلحاد بعد التطورات العلمية؛ فقسم من علماء المادية بدأ يثبت كل شيء بالتجربة، أي كل شيء يجرّب في المعمل أو المختبر. و كل شيء لا يخضع للمعمل فهو خرافة في نظرهم. ولما كانت قضية الألوهية لا تخضع في المعمل أو المختبر، ولا التجربة العملية، فقد استغنوا عن تلك القضية كلها، وأعلنوا أن الله غير الموجود. وأخذوا هذه القضية التجريبية مسلمة لا تحمل الشك أو التأويل.[6]

---

[1] انظر: كريسون، أندريه(1979)، **المشكلة الأخلاقية والفلاسفة**، (ترجمة: الإمام عبد الحليم محمود، وغيره)، القاهرة: دار الشعب، ص: 159.

[2] انظر: مجموعة من العلماء والباحثين(1999م)، **الموسوعة العربية العالمية**، (ط2)، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ج 2/ ص: 528.

[3] نيتشة: ولد في عام 1844م وتو في عام 1900م. هو فيلسوف ألماني، مؤسس فلسفة القوة، وهو من أعظم الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين. انظر: بدوي، د.عبد الرحمن(1984م)، **موسوعة الفلسفة**، (ط1)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص: 508-509.

[4] انظر: زاكارياس، د.رافي(2014م)، **الوجه الحقيقي للإلحاد**، (ترجمة: ماريانا كتكوت)، الناشر: رؤية للطباعة، ج 2/ ص: 28-29.

[5] انظر: الميداني، **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، ص: 436.

[6] انظر: قطب، محمد(1979م)، **الإنسان بين المادية والاسلام**، (ط9)، القاهرة: دار الشروق، ص: 47-48.

وانتشر الإلحاد بعد أن ظهرت المنظمات الاشتراكية والشيوعية في العالم، وأصبحت كُتَلٌ عظيمة من البشرية تدين بإلحاد الله. وبالثورة الشيوعية الكبرى، أصبح لها دولة في الشرق، وبعدها نشر في بعض دول الكرة الأرضية. وبذلك انتشر الإلحاد بين الناس بشكل ظاهر وبارز.[1]

وشجع الناس على الكفر بالله، أن الناس رأوا أن أوروبا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة المادية إلا بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها، وأن دولة كروسيا لم تكن دولة عظمى إلا بعد أن تركت الدين المسيحي وأعلن أنها دولة إلحادية، ورأوا مع ذلك أن الدول التي تتمسك بالدين دول متخلفة في القوة والصناعة؛ فظن الناس أن الإلحاد سبب للقوة والعلم، وأن الدين هو الجهل والتخلف، ولما كان العلم المادي آثاره ظاهرة من تيسير حياة الإنسان، ونشر الرفاهية والرخاء؛ فإن الناس اعتزلوا العقائد الدينية وآمنوا بالعلم المادي كإله قادر على أن يذلل لهم كل شيء على هذه الأرض، بل يطعمهم هذا الإله المادي، وهكذا ساعد اقتران العلم المادي والكشوف المادية بالإلحاد على ظن الناس أن العلم نتجة للإلحاد، وهذا كان خطأ أعظم وعمّت بسببه موجهة الإلحاد.[2]

وبدأ ينتشر هذا الفكر الإلحادي في العالم الإسلامي، ووضع الملحدون شعاري العقلانية والعلمانية لتبعد المسلمين عن الدين الإسلامي.؛ متسلّلاً في أثواب الفنون والعلوم وأنواع الثقافات الغربية، أو ضمن مبادىء المنظمات الشيوعية، والأحزاب القومية العلمانية. ويرى الملحدون أن أبناء المسلمين إذا ألحدوا كانوا أسرع إلى تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية. كما أنها خطط الصليبية واليهودية.[3]

نعم مع الأسف الشديد أن الإلحاد ينشر بين أبناء المسلمين بأسباب متعددة كالغفلة، والتقليد، والإعلام، وسهولة الاتصال مع الملحدين، وسبب رئسي لإلحادهم لا شك هو جهل المسلمين وعدم كفاية المعرفة بدينهم والأدلة الموجود فيه والتعرف على حقائقه.

وأساس أفكار الإلحاد كما ذكرنا آنفاً هو إنكار وجود الله تعالى عز وجل. لذلك هم أنكروا كل أركان العقيدة كالنبوة والكتب والحشر... وغيرها. وهم ظنّوا أن العالم تشكل عشوائياً بدون خالق؛

---

(1) انظر: **المصدر السابق**، ص438.
(2) انظر: عبد الخالق، عبد الرحمن(1404هـ)، **الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها**، (ط2)، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإتاء والدعوة والإرشاد، ص: 13-14.
(3) انظر: الميداني، **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، ص: 437-439.

بالانفجارات والتصادفات، والموجودات تشكل من الأسباب المختلفة أو يولد من بعضها إلى ما لا نهاية. أي ارتكبوا أفكارًا باطلة مليئة بالخرافة.[1]

المطلب الثاني: رد النورسي على الإلحاد

إن دعوى الملحدين الذين ينكرون المسائل الإيمانية لا قوة لها ولا أهمية، لأن دعواهم لا تستند إلى أي إثبات ولا أي حقيقة، لذلك فدعاواهم غير معقولة ولا يمكن إثبات أفكارهم الباطلة. وقد وضّح بديع الزمان سعيد النورسي كيفية بطلان آرائهم وبيّن أن الحقائق الإيمانية هي العقلية والمنطقية.

1. بطلان آراء الملاحدة

ألف بديع الزمان سعيد النورسي ضد الملاحدة رسالة باسم (رسالة الطبيعة). وأثبت في تلك الرسالة بطلان آرائهم. وقال النورسي في هذه الرسالة: إن كلماتكم الكفرية وآراءكم والطرق التي تعتمدونها تتكون من ثلاثة أقوال. الأول: أوجدته الأسباب، أي أسباب موجِد الأشياء. والثاني: تشكل بنفسه، أي أشياء توجد من العدم إلى الوجود بنفسها. والثالث: اقتضته الطبيعة، أي الطبيعة توجد الأشياء. والطريق الرابع الذي هو طريق الإيمان، هو أن الموجودات أوجدت بإيجاد موجِدٍ قدير ذي الجلال. وقال: لو أثبتنا بطلان ثلاث طرق أهل الكفر سيبقى لدينا آخر طريق الذي هو الحق. لأنه لا طريق آخر غير هذه الأربع طرق. وبدأ بإثبات بطلان هذه الثلاث طرق للملاحدة.[2]

أ. الطريق الأول:

هو القول بأن اجماع الأسباب يخلق الموجودات، ويؤدي إلى تشكل الأشياء. ورد النوسي على هذا القول بمثال ذلك: تحتوي الصيدلية مئات القناني المملوءة بمواد كمياوية متنوعة، وطُلب من تلك الدواء النافع. وعندما دخلنا الصيدلية وجدنا فيها أعدادًا كثيرة من أنواع ذلك الدواء المطلوب. وعندما بدأنا بتحليل كل دواء رأينا مركباً مستحضراً بدقة تامة من المواد المختلفة بموازين محسوبة، فقد أخذ من تلك القناني غرام واحد من هذه، وغرامين من تلك، و خمسة غرامات من الأخرى. وهكذا أخذ من كل منها مقادير مختلفة، بحيث لو كان ما أخذ من تلك المقادير أقل منها بجزء من الغرام، لفقد الدواء خواصه النافعة.

---

[1] انظر: ابن المسعود، أبو الفداء(2013م)، **آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين**، (ط1)، القاهرة: دار الإمام مسلم، ص: 102-104.

[2] انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 247.

فهل يمكن أن يتكون ذلك الدواء من جرّاء مصادفة غريبة، أو من نتائج تصادم القناني بحدوث عواصف في الصيدلية يؤدي إلى سيلان تلك المقادير بالميزان، واتحادها ببعضها البعض الآخر مكوناً دواء نافعًا؟ فهل هناك مُحال أغرب من هذا؟ وهل هناك بطلان أشنع من هذا؟

وقال النورسي في ضوء هذا المثال: إن كل كائن هو مركب بمقدار معين، وميزان دقيق. وإن كل النبات ركّب من أجزاء مختلفة من مواد متباينة، على وفق الميزان الحساس. فلا ريب أن إسناد خلق هذه النباتات البديع إلى الأسباب المادية العادية والعناصر باطل ومحال وبعيد عن العقل بمثل بعد وبطلان تكوين الدواء النافع بنفسه من سيلان تلك المواد من القناني. وكذلك المثال؛ أن الموجودات لا تأتي إلى الوجود إلا بميزان القضاء والقدر للحكيم القدير. وهي لا يمكن أن توجد إلا بعلم لا نهاية له، وبإرادة تحيط بكل شيء.[1]

ب. الطريق الثاني:

وهو قولهم عن الشيء تشكّلة بنفسه، أي أشياء توجد من العدم إلى الوجود بنفسه. فهو ينطوي على مُحالات كثيرة. أن الموجودات تُخلق بسرعة وبسهولة مطلقة، لأنه لا صعوبة لقدرة الله تعالى كما جاء في الآية الكريمة: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [لقمان: 28]. وهذه السرعة والسهولة غير المحدودة دليل على كمال قدرة الصانع القدير، وكل شيء سهولته بنسبته، ولكن هذه السرعة والسهولة أصبحت سبباً للالتباس على أهل الإلحاد. فالتبس في نظرهم تشكل الأشياء بقدرة الله، وتشكل الأشياء بنفسها. لأنهم يرون أن الأشياء تأتي إلى الوجود في غاية السهولة فيتوهمون أنها تتشكل بنفسها. فتأمل في هذه الحماقة حيث يجعلون دليل القدرة المطلقة دليلاً على عدمها، ويقبلون المحالات التي لا نهاية لها. إذ يجب عندئذ أن تعطي كل ذرة من ذرات كل الموجودات أوصاف الكمال التي هي ذاتية للصانع الجليل كالعلم المحيط والقدرة المطلقة وأمثالها حتى تتمكن من تشكيل أشياء بنفسها.[2]

فلا يمكن إحالة هذه الأشياء التي هي في غاية الإتقان والصنعة إلى نفسها قط. فذلك محال لا نهاية له. بل هي أدلة واضحة على صانعها الحكيم. إذ إن صانعها لا يعجزه شيء، فكتابة ألف كتاب أمر

---

[1] انظر:النورسي، **اللمعات**، ص: 248.
[2] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 311.

يسير لديه ككتابة حرف واحد. وهو قد وضع كل شيء بحكمة تامة في موضعه اللائق به. فهل هناك محال أعظم من أن تظن أن هذه الأمور تحصل من المصادفة؟[1]

ووضح النورسي محالات هذا الطريق بمثال ذلك: إن الإنسان تكون المادة البسيطة ودائماً تتغير، بل إن الإنسان معمل عظيم متقن الصنع. وأجهزته دائمة التجدد. فذرات وجودنا تعمل وتسعى دون توقف، وترتبط بالكائنات الخاصة من نحو الرزق. إن الذرات في جسمنا تعمل في دقة لكي لا تفسد تلك الروابط، ولا تقطع تلك العلاقات، فهي تتخذ موقفاً لها على وفق تلك العلاقات كأنها تنظر إلى كل الكائنات وتشاهدها، ثم تشاهد موقعنا منها، ونحن نستفيد ذلك الوضع الخارق لتلك الذرات. فإن لم نعتقد أن تلك الذرات يعمل تحت أمر القدير الأزلي، ومسخرات لقوانينه، أو هي قلم القدر الإلهية. لزمنا أن نقول إن لكل ذرة عاملة عيناً واسعة بصيرة. تشاهد جيع الكائنات وترى جميع أجزاء جسدنا. وتعلم ماضينا ومستقبلنا، وتعرف كنوز رزقنا. فهي إذن ذات العقل والعلم المطلق!. أليس في إسناد هذا العلم والعقل إلى ذرة، خرافة خرقاء وبلاهة بلهاء؟.[2]

ث. الطريق الثالث:

وهو قولهم عن الشيء اقتضته الطبيعة، أي الطبيعة توجد ذلك الشيء. فهذا الحكم له محالات كثيرة جداً. نوضح الآن محالًا واحدًا من محالاتها بقول النورسي ذلك: إن هذه الموجودات التي في انتظام رائع، وفي ميزان دقيق، وفي تمام الإتقان؛ إن لم تسند إلى ذات القدير والحكيم المطلق، وأسندت إلى الطبيعة، يجب للطبيعة أن تحضر في كل حفنة تراب، مطابع ومعامل بعدد مطابع أوروبا ومعاملها، كي تتمكن تلك الحفنة من أن تكون منشأ الأوراق والأزهار والأثمار الجميلة اللطيفة؛ لأننا نرى كل بذور مختلفة نوعاً تُدفن تحت تلك الحفنة، تنبت كلها وكل واحدة منها؛ أثمارها مختلفة وأوراقها مختلفة وأشكالها مختلفة. وكذلك تُرى قابلية التصور وتشكل من تلك الحفنة. لو لم تُسند إلى الله تعالى ليُلزم العقل لكل زهرة معملاً خاصًا لها، لأنه لو لم يكن ذلك فلا يأتي إلى الوجود تلك الزهرة. وقال النورسي تحت ظل هذا مثال: قس درجة حماقة الطبيعيّين كيف يبعدون عن العقل، ويقبلون أفكارًا بدرجة امتناع الذي ليس ممكن أبداً، اتخذوها لهم مسلكاً.[3]

إن الطبيعة أصلها هو صنعة الإله والقوانين الربّانية ولكن الملاحدة ضلّوا ضلالًا عظيمًا وحكموا بصنعه وقوانينه على عدم وجوده وأعطيت أوصاف الله تعالى التي تليق بألوهيته إلى الطبيعة التي

---

(1) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 317.
(2) انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 251.
(3) انظر: **المصدر السابق**، ص: 255.

هي خلقه. وعلق النورسي معنى الطبيعة قائلاً: إن الطبيعة هي شريعة إلهية كبرى. وهذه الشريعة الفطرية تسمى بسنة الله والطبيعة، وهي خلاصة مجموع القوانين الاعتبارية الجارية في الكون. ولكن لاستمرار هذه الشريعة توهم الخيال فجسّمها في الطبيعة وحكمها موجوداً خارجياً مؤثراً وفاعلاً، بينما هي أمر اعتباري ذهني. فالطبيعة: مثالية وليست طابعة، قابلة للانفعال لا فاعلة، نقش لا نقاشة، مِسطر لا مصدر، قانون لا قدرة، نِظام لا نظّام، شريعة إرادية لا حقيقة خارجية.[1]

ج. الطريق الرابع:

هو طريق الإيمان، وهو قول وجدت الموجودات بإيجاد موجِدٍ قدير ذي الجلال. أي قول أهل الحق والحقيقة. وهذا طريق لا شك طريق صحيح لأنه لا طريق لوجود الموجودات إلا أربع طرق. وأثبتنا ذلك بمحالية تلك الثلاثة الطرق للملاحدة ولم يبقَ لدينا سوى طريق واحد وهو طريق أهل الإيمان والإسلام.

2. النفي والإثبات

إن الاعتقاد بالكفر قسمان: أولهما: ما ليس له علاقة بالإسلام. فهذا قبوله خطأ، واعتقاده باطل، وحكم ظالم خاص به. وهذا القسم من الكفر خارج بحثنا، لا شأن له بنا ولا شأن لنا به. ثانيهما: لا يبارز حقايق الإيمان والإسلام ولا يعارضهما، وهذا أيضاً قسمان: الأول: هو عدم القبول ومجرد عدم تصديق الإثبات، وهذا الكفر هو جهل. وهو خارج إطار بحثنا أيضاً. والثاني: هو قبول للعدم، وتصديق قلبي للعدم، فهذا القسم هو حكم، فهو يضطر صاحبه إلى إثبات إنكاره ونفيه.

والنفي بدوره قسمان أيضاً: أولهما: أن يقول صاحب النفي: إن هذا شيء لا يوجد في مكان خاص ومعين. وهذا القسم ممكن إثباته، وهو أيضاً خارج بحثنا. وثانيهما: هو نفي المسائل الإيمانية والعامة، والمحيطة التي تشمل على الكون، وتتطلع إلى الآخرة. وهذا النفي لا يمكن إثباته مطلقاً. لأنه يجب أن

---

[1] انظر: النورسي، **المثنوي العربي النوري**، ص: 415.

يكون هناك نظر محايد بالكون، ومشاهدة دقيقة في الزمان غير المحدود، ورؤية شاملة للآخرة، ليثبت مثل هذا النفي.[1]

وإن النفي لا قيمة ولا حكم له في المسائل العامة أمام الإثبات. وكثرة الكفار لا قيمة لإنكارهم. كما أثبت النورسي بمثال ذلك: إذا أثبت شاهدان رؤية الهلال في بداية شهر رمضان، ونفى الرؤية آلاف من العلماء قائلين: (نحن ما رأينا الهلال). فإن نفيهم هذا يبقى بدون قيمة أو أهمية؛ لأن بالإثبات يقوي الواحد الآخر، ففيه إجماع وتساند. بينما لا فرق في النفي أن يصدر من شخص واحد أو من ألف شخص؛ إذ النافي منفرد في نفيه. لأن المثبت ينظر إلى الأمر نفسه ثم يحكم بوجود الهلال في وجه السماء، فإذا قال أحدهم: الهلال ظاهر في وجه السماء وأشار إليه، فإن الآخر يؤيده ويصدقه مشيراً إلى المكان نفسه، فيشتركان في النظر إلى المكان نفسه، فيجمعان، ويقوى حكمهما ويرسخ. أما في الإنكار والنفي لا قوة لهم لأن النافي لا ينظر إلى الأمر نفسه وإنما يُصدرون أحكامهم حسب أنفسهم ونظراتهم وعقولهم؛ لذا لا يمكن أن يساند أحدهم الآخر. لأن الأسباب المانعة للمعرفة متنوعة عندهم وحُجُب الرؤية مختلفة لديهم. إذ يستطيع كل شخص منهم أن يقول: (عندي الشيء الفلاني غير موجود، وباعتقادي أنه لا يوجد، وأنا ما نظرت وما رأيت)، وأمثالها من الأسباب التي هي مانع للرؤية الصحيحة تتعدد وتختلف باختلاف عدد الأشخاص، فلذا فإن بالنتائج المتعددة لا يحصل التساند مطلقًا. فلا يحق له أن يقول: (إنه فعلاً لا يوجد) أو يقول: (لا موجود في الأمر نفسه). وذلك إذا قيل في المسائل الإيمانية التي تشمل العالم كله، فإن كلامه يكون بهتانًا عظيمًا وكذبًا كبيرًا بكبر الكون، ولا يمكن أن يصدق كلامه أبداً. إذ لا قيمة لكثرة الكفار والمنكرين الذين يجهدون في العمل ضد الإيمان والإسلام.[2]

وقال النورسي: من القواعد الأصولية (أن المثبت يرجح على النافي). أن دعوى النافين لا يسند الواحد الآخر. ولو كانوا هم ألف شخص ليس لدعواهم قيمة ولا أهمية. لأن لكل شخص ينفي له أسباب مختلفة. مثال ذلك: إذا رأى واحد الشمس من نافذة، وآخر من أخرى، وهكذا؛ فكل مثبت يقوي كلام الأخر. وإذا لم يره واحد لعدم وجود نافذة، وآخر لضعف البصر، وآخر لسبب الغفلة، والآخر لعدم النظر، وغير ذلك. فقوة كل في نفسه فقط، لتعدد أسباب عدم رؤيتهم، ولذلك تعدد حكم دعواهم لا يدل على عدم الشمس في نفس الأمر. لذا فاعلم أن اتفاق كل أهل الكفر والإلحاد والضلال على نفي مسألة

---

[1] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 133.
[2] انظر: **المصدر السابق**، ص: 130.

من المسائل الإيمانية، لا يتأثر اتفاقهم فيها. وأما اتفاق أهل الحق على المسائل الإيمانية فكل يتأيد بكل. وبعدد المثبتين يكون البرهان على تلك المسائل.[1]

إن آلاف الأنبياء عليهم السلام، قد أعلنوا وجود الله ووحدانيته والسعادة الأبدية الآخرة، متفقين ومستندين إلى بعضهم وأثبتوا دعواهم بمعجزاتهم. والعلماء يصدّقون تلك الدعوى ببراهينهم القاطعة. وتلك الدعوى فيها حقيقة الظاهر فليس فيها شك، لأن حكم متخصص واحد في مهنة في مسألة ضمن اختصاصه، يسقط قيمة آراء ألف معارض غير متخصص في ذلك المهنة ولو كانوا متخصصين في مهن أخرى. وأن حكم اثنين من شهود الإثبات في مسألة ما، يرجح على آلاف من المنكرين لتلك المسألة. ووضح النورسي تلك المسألة بمثال ذلك: ادعاء وجود مَزارع جوز الهند في الأرض؛ أن المثبت لو يشير إليها أو أبرز جوز الهند ليكسب القضية بسهولة. أما النافي ينكر وجودها فإنه لا يستطيع أن يثبت دعواه إلا إذا تجوّل وبحث في أنحاء العالم كله، وهذا ليس ممكنًا. وهكذا والذي يخبر عن دار الآخرة والجنة والأمور الغيبية فإنه يثبتها ويكسب القضية بمجرد دليل من أدلتها أو أثر من آثارها أو أمارة من أماراتها. وأن الذي ينفي لا يستطيع أن يجد مجالاً لإنكارها إلا إذا شاهد جميع الأكوان وجميع الأزمان إلى الأبد، وذلك محال. فلذلك أصبح قاعدة أساسية لدى العلماء المحققين، هي: (لا يمكن إثبات النفي غير المحدد مكانه - كالحقائق الإيمانية - ما لم يكن الأمر محالا بذاته). فبناء على هذه الحقيقة يجب أن لا يجلب إنكار آلاف الفلاسفة والمنكرين أيةَ شبهة ولا وسوسة أمام المخبر الصادق في المسألة الإيمانية.[2]

وهل من المعقول أو الممكن أن تدخل الشبهة في وجود الملائكة والغيبيات الذي أخبر عنه وشهد به الأنبياء، شهودا متواترا بقوة الإجماع. لأنهم أهل الاختصاص في هذه المسألة، ومن المعلوم أن اثنين من أهل الاختصاص في مهنتهم يرجحان على آلاف من غيرهم. وهم أهل الإثبات في هذه المسألة. ومن المعلوم أن اثنين من أهل الإثبات يرجحان على آلاف من أهل النفي.[3]

إن نفي المنكرين ليس له قيمة أو ضعيف جداً، فالحقائق الإيمانية قوية ودلائلها كثيرة جداً. ولكن رغم هذا أحياناً يتأثر المسلمون بالوسوسة البسيطة التي صدرت من الملحدين والمنكرين. وقد أزال النورسي هذه الشبهات بهذا المثال: قصر عظيم له مئات من الأبواب المقفلة، ويمكن أن ندخل فيه بباب واحد مفتوح ونفتح بقية الأبواب. ولا يمنع دخولنا الأبواب الباقية المقفلة في ذلك القصر. والحقائق

---

(1) انظر: النورسي، **المثنوي العربي النوري**، ص: 181.
(2) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 252.
(3) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 594.

الإيمانية كذلك القصر العظيم، وكل دليل إثبات هو مفتاح يفتح باباً معيناً. فليس من المعقول أن ننكر الحقيقة الإيمانية بمجرد بقاء باب واحد مقفل من بين مئات من الأبواب المفتوحة. ولكن الشيطان يخضع الناس - بناءً على جهلهم – بقوله لهم: لا يمكن الدخول إلى ذلك القصر بسبب تلك الأبواب المغلقة ليسقط من الاعتبار جميع الأدلة الثبوتية. ويقول لهم: لا يمكن الدخول لهذا القصر أبداً، وأنت تحسبه قصراً وهو ليس بقصر، ولا فيه شيء. ولكن المسلمين الذي يريدون أن يخلصوا من دسائس الشياطين يجب أن يتمسكوا بالحقائق الإيمانية وتوزن أعمالهم بميزان القرآن وسنة النبي عليه صلاة وسلام.[1]

نعم ليس قيمة لكلام أهل الإلحاد والضلال لأن كلامهم ونفيهم لا يصدر من الحق والحقيقة. وكلام المثبتين وإثباتهم يستند إلى براهين كثيرة يصدر من الحق والحقيقة. أن بكل كائن الموجود فيه، لهم إعلان ظاهر على وجود خالقه وحقّانيته. وأن الأنبياء كلهم أعلنوا وأثبتوا المسائل الإيمانية بدرجة اليقين، والكتب والصحف التي نزلت إلى الأنبياء للبشرية أثبتت تلك المسائل. وعلماء هذه الأمة أثبتوا كل الحقائق الإيمانية بأدلتهم القاطعة الظاهرة. وذلك فعدد أهل الإثبات لا تعد ولا تحصى. فلا مجال للشك أن يدخل في تلك المسائل.

---

[1] انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 125.

المبحث الثاني: منهجه في الرد على العلمانية

المطلب الأول: العلمانية

أ. تعريف العلمانية

العلمانية: اسم منسوب إلى علْم، بمعنى عالم، غير ديني يهتمون بشؤون الدنيا فقط واعتقاد فصل الدين عن الدولة.[1]

فالعلمانية في الإنجلزية تعرف باسم Secularism وهذه الكلمة تعني العالم أو الدنيا فهي مشتقة من العَلم أي اللاديني. ولكن العِلمانية فهي في الإنجلزية باسم Scientism وهذه كلمة تعني العِلم. فالخلط عند المفكرين العرب هو الخلط بين العَلمانية والعِلمانية، أي خلطة بين الدنيوي والعِلم.[2]

وقال محمد قطب: ترجمة العَلمانية إلى اللغة العربية هي ترجمة مضللة لأنها توحى بأن لها صلة بالعلم، وهي في لغاتها أصلاً لا صلة لها بالعلم. بل مقصود بالعلمانية في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيدا عن الدين، أو الفصل تماماً بين الدين والحياة.[3]

أطلق كلمة العلمانية في العصر الوسيط على الكاهن (الديني) الذي يتحمل المسؤولية إدارة إيبارشية. ثم اتسع استخدام لفظ العلمانية عندما استقل الامبراطور عن بابا روما، وفصل بين ما هو روحاني وما هو علماني في مؤسسات، وبعض المسؤوليات من السلطة الكنسية انتقلت إلى السلطة السياسية. وهذا الانتقال يسمى ب(العلمانية).[4]

إن العلمانية أخذت عبر التارخ عدة مفاهيم ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر كان فصل الدين عن الدولة ثم تحولت في القرن التاسع عشر إلى إبعاد الدين عن الدولة، ثم غيرت أيضًا في القرن العشرين بعودة سلطة الكنيسة الكاثولكية بإعادة قيام دولة الفاتيكان وبقيام أحزاب مسيحية في دول أوروبا لأهدافهم السياسية المسيحية.[5]

---

(1) انظر: عمر، أ.د.أحمد مختار(2008م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (ط1)، القاهرة: عالم الكتب، ص: 1545.

(2) انظر: البهنساوي، المستشار سالم(1992م)، **الاسلام لا العلمانية مناظرة مع د.فؤاد زكريا**، (ط1)، الكويت: دار الدعوة، ص: 7.

(3) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 442.

(4) انظر: وهبه، مراد، **الأصولية والعلمانية**، (ط1)، القاهرة: دار الثقافة، ص: 46.

(5) انظر: البهنساوي، **الاسلام لا العلمانية مناظرة مع د.فؤاد زكريا**، ص: 8.

إن العلمانية في أوروبا لا تعادى الدين ولا تمنعه، إنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية؛ الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية و غير ذلك. ولكنها تترك للناس حرية التدين الفردى ولا دخل لها بأمور الحياة العملية.[1]

ب. ظهور العلمانية وأسبابها

نشأت العلمانية في العصور الوسطى التي زاد فيها فساد الديانة المسيحية فكانت سلطة الديني والإدارة بيد رجال الكينسة؛ إن أمور الحلال والحرام كان بيد رجال الدين الذي يختارهم الامبراطور البيزنطي. ورجال الدين أصلاً لم يكونوا أكثر الناس علماً بل أكثرهم كان تابعًا للحاكم. وزعم البابوات أنهم يتكلمون بإذن الله ويتلقون عنه، وأنهم معيّنون من قبل الله فليس أحد فوقهم، كما أن لهم حق التشريع الإلهي. ونتيجة ذلك لا يستطيع أحد أن يتوب إلى الله إلا عن طريقهم بصكوك الغفران.[2]

وكان السلطة الكنسية تمنع العلم، معتبرة إياه بعمل الشياطين. فلذلك انتشر الجهل والخرافات بين الناس بشكل كبير. وأصبحت الحقيقة هي كلام رجال الدين فقط. وعدد العلماء كان قليلًا في ذلك الوقت، ولم يكن لهم فرصة للإفادة برأيهم.[3]

وقد نتج ردود أفعال متباينة عن هذه الأمور في أوروبا، من ذلك أن ادعى الفلاسفة أن الاتصال بالله لا يحتاج إلى واسطة كالبابوات بل لا بالأنبياء ولا بالوحي. والردود الكبيرة الأخرى تمثلت بالثورة الفرنسية التي نتج عنها فصل الدين عن الدولة تماماً.[4]

وجاءت الثورة الصناعية، وزاد إبعاد الدين عن الحياة. ولكن الثورة الصناعية أحدثت هزات عنيفة في حياة الناس. وبإخراج المرأة إلى العمل وإفساد أخلاقها فسد أخلاق الرجل معها، واستغلال قضية المساواة مع الرجل في الأجر روح الصراع في نفس المرأة. والنتيجة من ذلك كله تحطيم الأسرة والفوضى الجنسية.[5]

---

(1) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 442.
(2) انظر: البهنساوي، **الاسلام لا العلمانية مناظرة مع د.فؤاد زكريا**، ص: 10-17.
(3) انظر: نور، محمد أحمد محمد(2014م)، **المذاهب الفكرية وأثرها على حياة المسلمين: دراسة مقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة والمذاهب المعاصرة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، السودان، ص: 158.
(4) انظر: البهنساوي، **الاسلام لا العلمانية مناظرة مع د.فؤاد زكريا**، ص: 18.
(5) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 458-459.

نشرت فكرة العلمانية في العصور الأخيرة في أوروبا بشكل كبير وأصبح أساس نظام دولتهم. وانتقلت هذه العلمانية في القرنين التاسع عشر والعشرين إلى الشرق والعالم الإسلامي بشكل أساسي في مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا وتونس وإلى غير بلاد المسلمين. والمسلمون عندما غفلوا عن حقائق الإسلام اتبعوا الشهوات وانحطوا انحطاطاً كبيراً أدى إلى التخلف وإلى الاستعمار الأوروبي. ونشرت أوروبا في العالم الإسلامي نظرية فصل الدين عن الدولة وعن الحياة. وبذلك فقد أنشأت جيلاً في العالم الإسلامي على أساس النظام العلماني.[1]

بعد انهدام الدولة العثمانية وانتهاء الخلافة الإسلامية صارت تركيا رمزاً مهماً في الدعوة للعلمانية. وقد صارت غالب الدول العربية تحكم بالعلمانية، حتى إن كان الدستور في بعضها مستمدًا من الشريعة الإسلامة، ولكن في الواقع يخالف تلك الشريعة كثيراً.[2]

ت. شبهات العلمانية في العالم الإسلامي

جاء العلمانيون في العالم الإسلامي وأرادوا أن يطبقوا كل ما كان في أوروبا على النظام الإسلامي من غير أن يروا فرقًا بين الديانة المسيحية والشريعة الإسلامية، وكانت لديهم شبهات كثيرة على النظام الإسلامي. سأذكر بعض شبهاتهم الأساسية.

1. يظنون أنه إذا طبّقت الشريعة الإسلامية فستعود السلطة الدينية مرة أخرى كما كان في أوروبا.

2. قالو إن الحكم الإسلامي يصادر على الديمقراطية و يُلغي حريات الإنسان والرأي الآخر.

3. كيف للشريعة الإسلامية أن تكون صالحة لكل زمان ومكان، ونصوصها جاءت من أربعة عشر قرناً من الزمان.

4. وهم يخافون على حقوق غير المسلمين وعلى منع حريتهم في الإلحاد. وهم يعترضون على قول النبي عليه الصلاة والسلام: (من بدل دينه فاقتلوه)[3] ويقولون ألا ينافي هذا الحرية؟

---

[1] انظر: البهنساوي، **الاسلام لا العلمانية مناظرة مع د.فؤاد زكريا**، ص: 8-19.
[2] انظر: نور، **المذاهب الفكرية وأثرها على حياة المسلمين: دراسة مقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة والمذاهب المعاصرة**، ص: 165.
[3] **صحيح البخاري**، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (رقم الحديث: 6922).

5. ويعترضون على قضية المرأة في مسألة المساواة بينها وبين الرجل.[1]

المطلب الثاني: رد النورسي على العلمانية

إن الفكرة العلمانية نشرت في بلاد المسلمين انتشاراً كبيراً على كونها ضد الشريعة الإسلامية وأساساتها. والشريعة الإسلامية هي التى جاءت على يد النبي عليه الصلاة والسلام من خالق الكائنات كلها. فلذلك لا بد أن شريعته عامة، تخاطب كل طبقات البشر. ويجب علينا أولاً أن نعرف حقانية شريعته لكي نستطيع أن نرفض الأفكار ضدها.

1. توضيحات النورسي عن الشريعة الإسلامية

إن الشريعة هي نتيجة الخطاب الإلهي الصادر مباشرة - دون ظل ولا حجاب – من الربوبية المطلقة المتفردة بالأحدية. وتميزت الشرعة الإسلامية بالدساتير الجامعة بما يحقق سعادة الدارين. فالذي يدقق النظر في الإسلام وشريعته الشاملة في تعريفها للكون يدرك أن تلك الشريعة إنما هي نظام خالق هذا الكون. إذ كما أن بنّاءً لقصر بديع يضع تعريفاً يليق بالقصر، ويكتب كتابةً لبيان مهارته، كذالك هذا الدين والشريعة وما فيه من الشمول والإحاطة يُظهر بوضوح أن الذي وضعه على هذه الصورة العالية إنما هو واضع الكون ومدبره. نعم، إن من نظّم هذا الكون بهذا التنظم الرائع لا بد أنه هو الذي نظّم هذا الدين الأكمل والشريعة الشاملة بهذا النظام الأجمل.[2]

لم يحدد الله تعالى قوى البشر الشهوية والغضبية والعقلية لتأمين ترقّيهم. ولذلك حصل بين جماعات البشرية ظلم وتجاوز. ولتصريف ذلك الظلم والتجاوز تحتاج الجماعة إلى العدالة. وعقل كل واحد من الجماعة لا يدرك العدالة التامة لذلك فالبشرية تحتاج إلى العقل الكلي للعدالة، وما ذلك العقل إلا القانون الكلي، وهو لا شك الشريعة الإسلامية التي جاءت من الله.[3]

قارن سعيد النورسي الشريعة الإسلامية مع قوانين المدنية الحاضرة، وقال: خمسة أسس سلبية للمدنية الحاضرة: 1- نقطة استنادها: القوة، وهذه من شأنها التجاوز. 2- هدفها: المنفعة، وهذه من شأنها التزاحم. 3- دستوها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا من شأنه التنازع. 4- الرابطة بين

---

(1) انظر: البهنساوي، **الاسلام لا العلمانية مناظرة مع د.فؤاد زكريا**، ص: 21-35.
(2) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 236.
(3) انظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص: 144.

الأقوام البشرية هي العنصرية والقومية التي تتوسع بابتلاء الآخرين: وشأنها التصادم والترهيب. 5- خدمتها للبشرية: تشجيع الهوى والهوسات الذي سبب مسخ الإنسان معنوياً.

ولكن تضمن الشرعة الإسلامية: 1- نقطة استنادها: الحق بدلا من القوة، ومن شأنه العدالة والتوازن. 2- وهدفها: الفضيلة، ومن شأنها المودة والتجاذب. 3- جهة الوحدة فيها: الرابطة الدينية، ومن شأنها الأخوة والمسالمة الجادة. 4- دستورها في الحياة: التعاون بدلاً من الجدال، ومن شأنه الاتحاد والتساند. 5- وتضع الهدى بدلا من الهوى، ومن شأن الهدى، رفع الإنسان روحياً إلى مراقي الكمالات.[1]

وتلك الأمور تثبت أن الشريعة الإسلامية تحضر لكل البشرية السعادة الحقيقية والعدالة التامة والأمنية بين الناس. ولا تأتي أيٌّ من القوانين المدنية بمثل هذه الأمور.

2. رده على شبهات العلمانية

إن قوانين الشريعة الإسلامية قاطعة وحكمها عادلة أدارت بلاد الإسلام طوال الأربعة العشر قرون من الزمان إدارةً عادلة وأعطى لهم السعادة الحقيقية. ولكن مع الأسف الشديد بعُد المسلمون عن حقيقة الإسلام في العصور الأواخر بُعداً كبيراً. لذلك بدأ الفساد في دول الإسلامية، وظن المسلمون أن الخلاص من ذلك الفساد هو بالتمسك بالأمور السياسية والاقتصادية والتطورات المادية فقط مع إبعادهم عن الدين. وهذا الظن، يأتي إلى أذهان الناس لعدم معرفتهم بالشريعة الإسلامية، وبسبب شبهات العلمانيين. فلذلك يجب أن نرد على شبهاتهم لكي نثبت أن الشريعة الإسلامية لا مثيل لها.

1. إذا طبّقت الشريعة الإسلامية فستعود السلطة الدينية مرة أخرى كما كان في أوروبا:

إن النصرانية، ولاسيما الكنيسة الكاثوليكية قد استغلها رجال الدولة وخواصهم كأداة للتحكم والاستبداد. وكان يظلمون على العوام والفقراء بتلك الواسطة. وهذا الحال أصبح وسيلة لسحق أصحاب الحمية. وامتدت الثورات في أوروبا ما يقارب الأربعمائة سنة ضد تلك المظالم الكاثوليكية والسلطة ورجالها.

بينما في الإسلام، لم يشكُ مظلوم أو مفكر من الدين الإسلامي وشريعته، لإن هذا الدين لا يظلمهم بل دائمًا يحميهم، وهذا تاريخ الإسلام شاهد لقولنا. ثم إن الإسلام قد أصبح حصناً للعوام أكثر منه

---

[1] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 598.

للخواص، فلا يجعل الخواص مستبدين عليهم بل يجعلهم خادمين لهم بوجوب الزكاة وتحريم الربا. وأن الإسلام يستشهد العقل بالآيات الكثيرة: (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) [يس: 78]. و(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ) [النساء: 82]. و(لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: 21]. وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة. فيمنح لأهل العلم والفكر والعقل بهذا مقاماً رفيعاً باسم الدين ويعطيهم أهمية كبيرة، فلا يعزل العقل، ولا يهجم على عقول أهل الفكر، كما هو في المذهب الكاثولكي.[1]

2. قولهم، إن الحكم الإسلامي يصادر على الديمقراطية و يُلغي حريات الإنسان والرأي الآخر:

ليس أي مسند لهذه الشبهة لأن الإسلام أعطى للبشرية الحرية الحقيقية، ودائمًا نصح المسلمين في كل أمورهم إلى الشورى بينهم والاهتمام بالرأي الآخر كما جاء في الآية: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [الشورى: 38].

يجب علينا أن نعرف معنى الحرية لأن العلمانيين يوضحون لنا بشكل خطأ فهم يقولون الحرية: إذا لم يكن ضرر لغيرك افعل ما تشاء. وهذا التعريف خطأ كبير لأنه يسمح للناس إضرار أنفسهم ويسوقهم إلى الرذيلة. فقال النورسي: إنما أعلن هؤلاء عن سفاهتهم ورذالتهم لا عن الحرية، ذلك أن الحرية يلزمها أن تتأدب بآداب الشريعة وتتزين بها، وأن السفاهة والرذالة ليست الحرية بل هي الحيوانية واستبداد الشيطان. إن شأن الحرية الحقيقية والعامة هي أن لا يضر الإنسان نفسه ولا غيره.[2]

وقال النورسي عن الجمهورية: لقد كان كل واحد من الخلفاء الراشدين خليفة ورئيس الجمهورية في ذات الوقت، فأبو بكر رضي الله عنه بثلبة رئيس جمهورية وفيها العشرة المبشرون بالجنة والصحابة الكرام رضي الله عنهم؛ إلا أنهم لم يكونوا رؤوساً بغير المسمى، وشكلاً بغير المضمون، بل كانوا رؤوس الجمهورية الإسلامية متدينين يحملون معاني العدالة والحرية والشريعة بحقيقتها.[3]

3. كيف تكون الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ونصوصها جاءت من أربعة عشر قرناً من الزمان:

---

(1) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 554.
(2) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 106.
(3) انظر: **مصدر سابق**، ص504.

إن الشريعة الإسلامية جاءت من خالق الإنسان وخالق كل الزمان والمكان. إن خالقنا هو عليم بكل زمان ومكان وهو أقرب إلينا من أنفسنا لذلك فالحقوق التي وضعها تناسب كل الزمان والمكان ولا تحتاج تغييرًا كالحقوق التي يضعها الإنسان.

وقد أتي النبي عليه الصلاة والسلام بشريعة عظيمة بحيث أدارت بقوانينها العادلة خُمس البشر منذ أربعة عشر قرناً من الزمان إدارةً حققت لهم الرقيَّ المادي والمعنوي. وهذه الإدارة العادلة لا مثيل لها في تاريخ البشرية.[1]

4. وهم يخافون على حقوق غير المسلمين وعلى منع حريتهم في الإلحاد، وعن حكم قتل المرتد في الدين ويقولون ألا تنافي هذا مع الحرية؟

عاش المسلمون وغير المسلمين في الدول الإسلامية مع بعضهم بعدالة وبأمن تام، ولا تسمح الحقوق الإسلامية أن تظلمهم بل تحميهم وتحفظهم. إن تاريخ الإسلام شاهد لمسألتنا. قال النورسي: المساواة ليست في الشرف والفضيلة، بل في الحقوق؛ فالسلطان والإنسان العادي في الحقوق سواءٌ. الشريعة تقول: لا تطأْ النملة، ومنعت من تعذيبها فكيف تُهمل حقوق الإنسان؟ كلا! إنني لأظن أن محكمة الإمام علي رضي الله عنه مع يهوديً عادي، وصلاح الدين الأيوبي مع نصراني مسكين، فيه تصحيح لخطئكم هذا.[2]

وأما قضية قتل المرتد فهي أيضاً عدالة للعامة لأنها تفسد المرتد بارتداده وينشر فساده في المجتمع ويضرهم. سأبين هذه المسألة بمثال ذكره النورسي في كتابه الكلمات: إن كان قصر فخم فيه مصباح كهرباء كبير تشعبت منه قوة الكهرباء إلى مصابيح صغيرة حول ذلك المصباح أي كل مصباح صغير مرتبط في المصباح الرئيسي. فلو أطفئ المصباح الرئيسي فستُطفأ كلها معه وسيبقى القصر في الظلام. وهناك القصور الأخرى والمصابح التي فيها غير مرتبطة بالمصباح الأكبر، فإن أطفئ الأكبر ستبقى المصابيح الصغيرة مُضاءة. فحقيقة المثال: أن القصر الأول، هو المسلم، والمصباح الكبير هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في قلب ذلك المسلم، فإن أخرج الإيمان به من قلبه فلا يؤمن بأي نبي آخر بل لا يبقى أي كمالات في روحه. لأن المسلم كل الكمالات التي تصاحبه تعلمها من النبي عليه الصلاة والسلام، فلو أنكرها سينكر كل الكمالات التي تعلمها منه. وأما الأجانب فيشبهون القصر

---

(1) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 623.
(2) انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 108.

الثاني، بحيث إن لم يقبلوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ويخرجونه من قلوبهم، تظلُّ لديهم أنوار أخرى؛ يمكن أن يبقى لديهم الإيمان بسيدنا عيسى أو سيدنا موسى أو إيمان بالله.[1]

نعم إن المسلم إذا خرج من الإسلام فلا يؤمن بأي نبي آخر ولا يقرّ بوجود الله تعالى، بل لا يعتقد بشيء مقدس أصلاً، ويفسد وجدانه ولا يبقى فيه أي شيء من الفضائل. فلأجل هذا فالمرتد ليس له حق الحياة لتفسخ وجدانه، ولأنه يكون كالسم القاتل للمجتمع، بينما الكافر له حق الحياة في نظر الإسلام؛ فإن كان في الخارج وعاهد أو في الداخل وأعطى الجزية، فإن حياته محفوظة في الإسلام.[2]

5. قضية المرأة في المجتمع الإسلامي:

إن المدنية الحاضرة تظلم الناس بقضية المساواة بين المرأة والرجل لأن المساواة أحياناً تكون ظلمًا، لأن فطرتهما مختلفة ومزاجهما مختلف ومسؤوليتهما مختلفة. وإن الإسلام لا يؤسس المساواة بين المرأة والرجل بل يؤسس بينهما العدالة الحقيقية.

وإن المدنية التي لا تحكم بالعقل، تنتقد الآية: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) [النساء:11] التي تتحدث عن الميراث أي أن العلمانيين يقولون لماذا لا تأخذ الأنثى نصفه؟ فمن المعلوم أن الأحكام الاجتماعية ترتبط بأمور أكثر الناس. فأغلبية النساء يجدن أزواجاً يحمونهن ويعيلونهن، بينما كثير من الرجال مضطرون إلى تحمل نفقاتها. فإذا ما أخذت الأنثى الثلث من أبيها، فإن الزوج سيسد حجاتها. إذا أخذ الرجل حظين من أبيه، فإنه سينفق حظًا واحدًا على زوجته. وبذلك تحصل المساواة، ويكون الرجل مساويًا لأخته. وهكذا تتحقق العدالة القرآنية.[3]

إن المدنية قد أصبحت سبباً لمثل هذا الظلم في حق الأنثى بإعطائها أكثر مما تستحق، وكذلك تظلم على الوالدات بحرمانهم من حقوقهن. ولكن الشريعة الإسلامية تحكم بالعدل فتعطي حق الوالدات ولا تحرمهن من أموال أبنائهن كما جاء في قول الله: (فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) [النساء: 11].[4]

والشريعة الإسلامية تأمر النساء أن يحتجبن بحجاب الحياء، صيانة لحرمتهن ورحمة بهن، لكي لا يكنّ آلة لهوسات الرذيلة ومتعة تافهة بدون قيمة لها. فأما المدنية فقد أخرجت النساء من بيوتهن

---

(1) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 415.
(2) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 556.
(3) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 471.
(4) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 50.

ومزقت حجابهن وأدت بالبشرية إلى الفساد وهدمت الحياة الأسرية التي كانت تدوم بالأمن والمحبة والاحترام المتبادل بين الزوج والزوجة.[1]

المبحث الثالث: منهجه في الرد على الشيوعية

المطلب الأول: الشيوعية

أ. تعريف الشيوعية

الشيوعية في اللغة: اللفظة مأخوذة من مادة شيع أي انتشر أو ظهر.[2]

والشيوعية في الاصطلاح: هي نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية والتوراث، واشتراك الناس في الحق والمال، وفي الإنتاج على حد سواء. وهي حركة فكرية، واقتصادية، ويهودية وتقوم على الإلحاد، وهي التفسير على الأساس المادي.[3]

وقال عبد الرحمن حبنكة الميداني عن الشيوعية: هي تنظيم بقيادة يهودية، ذو هيمنة عقائدية، غير أخلاقية وإباحية الشهوة، وتسيطر بالاستبداد المطلق المقرون بالعنف الدموي، وهدفها هو تدمير الأمم والأديان وكل قيم المجتمع البشري، تمهيداً لتأسيس الدولة اليهودية العالمية.

وأيضاً قال: الحركة الشوعية: عقيدة جبرية مادية إلحادية استبدادية غير أخلاقية شاملة تحت ستار مصلحة المجتمع التي شعارها (أن الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد). فهي تمثل الربوبية البشرية بأقبح صورها.[4]

إن الشيوعية ليست مذهبًا اقتصاديًا فقط كما يتبادر إلى ذهن كثير من الناس، بل هي تصور شامل للكون والحياة والإنسان، وعن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي. وأنها أيضاً مذهب اجتماعي وفكري وسياسي مترابط لا يمكن فصل بعضه عن بعض.[5]

تكونت الشيوعية من بعض الموضوعات الأساسية:

---

(1) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 472.
(2) انظر: الفضل، **لسان العرب**، 3م/ ص: 191.
(3) انظر: الحمد، محمد بن إبراهيم(2002م)، **الشيوعية**، (ط1)، الرياض: دار ابن خزيمة، ص10.
(4) انظر: الميداني، عبد الرحمان حسن حبنّكة (1991م)، **الكيد الأحمر**، (ط3)، دمشق: دار القلم، ص: 9-13.
(5) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 261.

أولاً: المادية الجدلية: أطلق عليها وصف المادية، لأن نظريتها مادية بحتة، أي لا تنظر إلى الوجود إلا من خلال المادة المدركة بالحس الظاهر.[1] والمادية الجدلية لها تصور خاص لقضايا الألوهية والعالم والإنسان يقوم على أساس المادة فقط، على أساس أن المادة هي الشيء الوحيد الأصيل في هذا الكون، وكل الموجود في الكون منبثق من المادة، ولا وجود له خارج نطاق المادة. أن كارل ماركس[2] ليس هو مبدع الجدلية أو التفكير الجدلي، فهو تأثر من هيجل[3] وأخذ منه، ولكن خالفه فيه مخالفة أساسية؛ قال هيجل إن الفكر هو الأصل وهو سابق في وجوده على المادة. أما ماركس فيرى أن المادة هي الأصل وهي سابقة على الفكر.[4]

آراء المادية الجدلية في التطبيق: أن الطبيعة كل واحد ترتبط فيه الأشياء فيما بينها ارتباطاً تاماً. وأن الطبيعة ليست في حالة سكون، بل هي في تغير وتطور دائمين. وأن حركة التطور هي تطور ينتقل من تغيرات كمية إلى تغيرات كيفية بشكل سريع ويرتفع من حالة أدنى إلى حالة أعلى بذاته دون حاجة إلى مؤثر خارجي. وأن كل الأشياء تحتوي تناقضات داخلية وبذلك تحدث التغيرات الارتقائية حتماً.[5]

وثانياً: المادية التاريخية: هي محاولة لتفسير التاريخ البشري على أساس المادية التي على أساس أن المادة أزلية أبدية، والمادة هي خالق كل شيء ما في الكون. وأن الإنسان نتاج المادة، والفكر نتاج المادة؛ وأن القوانين المادية هي بذاتها تحكم حياة البشر الاجتماعية، وهي تشكل الحياة البشرية.[6]

فالتاريخ الإنساني يسير وفق نظام جبري ليس بتصرّف المجتمع الإنساني، ولا تغير من نتائجه، لذلك فهي ضرورات سيطرة عليها التاريخ الإنساني، ضمن قانون المادية الجدلية. لذلك ترى الماركسية أن الحياة الاجتماعية والسياسية ثمرة واقعهم المادي.[7]

وثالثاً: الاقتصادية: هي الأصل الدائم الذي تنبثق من الحياة الاجتماعية والفكرية. وهي أهم أسس الشيوعية الحديثة. وجعلت حولها هذه الفلسفة الشاملة لتفسيرها.[8]

---

(1) انظر: الميداني، **الكيد الأحمر**، ص: 357.
(2) كارل ماركس (1818-1883م): هو يهودي، وولد في الألمانيا في حي اليهود. ومؤسس فكرة الشيوعية الحديثة، وأنها إليه تنسب فيقال: الشيوعية الماركسية. انظر: الحمد، **الشيوعية**، ص: 29.
(3) جورج فلهم فريدرك هيجل(1770-1831): هو "فيلسوف ألماني، فلسفيته مثالية مطلقة، مؤدّاها أن للكون روحاً يبتدي في مراحل تطورّية يعينها المنطق الجدلي، ومحصلة أن فكرة تولد نقيضها، ومن تفاعل النقيضين تنتج فكرة جديدة تؤالف بينهما، ثم تأخذ الفكرة الجديدة المراحل الثلاثة المذكورة نفسها، وهكذا." الميداني، **الكيد الأحمر**، ص: 75.
(4) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 269.
(5) انظر: الميداني، **الكيد الأحمر**، ص: 261-362.
(6) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 282.
(7) انظر: الميداني، **الكيد الأحمر**، ص: 362.
(8) انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 408

ب. نشأة الشيوعية

تأسست الشيوعية بيد اليهود كما كان كل التشكيلات المفسدة التي تأسست بيدهم؛ كما ذكرنا آنفاً اليهود هم الذين نشروا فكرة الإلحاد والعلمانية وكذلك كان لهم دور أعظم لنشر فكرة الشيوعية.

نشط اليهود في تأسيس بعض المحافل الماسونية في أواسط القرن الثامن عشر، لتحجب قياداتهم الخفية، وتكون أدوات لتحرك الثورة العالمية التي تتحقق بها الأهداف اليهودية في العالم. وفي عام (1893م) أنشأ لينين[1] حلقة الماركسية التي تكونت معظمها من اليهود. وفي عام (1897م) قام في روسيا حزب (الاتحاد العالمي للحزب الاشتراكي الديمقراطي اليهودي). وفي عام (1905م) قامت في روسيا أول ثورة شيوعية نظّمها اليهود، ولكنها فشلت، وكان رئيس هذه الثورة هو تروتسكي[2] الذي هو أبرز شخص في فكر الماركسية بعد لنين. وهو الذي أسس فيما بعد الجيش الأحمر.[3]

وفي عام 1917م بدأت الاضطرابات ضد نظام الحكم القيصري، وكثرة المؤامرات ضده. وانتشرت تلك الاضطرابات حتى بلغت حدّ الثورة التي سقط بها الحكم القيصري في شباط عام 1917م. وكانت الثورة ثورة ديمقراطية في أول الأمر، ولم تكن الشيوعية البداية. وفي نفس العام في شهر تشرين الأول، استطاع البلشفيك الاستيلاء على السلطة، وبذلك أصبح كل السلطة في يد الشيوعيين. وأن الشيوعية حكمت روسيا كلها؛ سياسياً، واقتصادياً واعتقاداً. ونشرت في الدول الأوروبية بعد روسيا، كالمجر، ورومانيا، وبولونيا، وغير ذلك من الدول الأوروبية. وبدأت الانتشار في البلاد الإسلامية أيضاً بتأسيس الأحزاب في تلك البلاد، كالعراق، وتركيا، ولبنان، ومصر، والجزائر، وغير ذلك من البلاد العربية والإسلامية.[4]

ت. المبادئ النظرية الشيوعية

1.2) إلغاء الملكية الفردية، وإلغاء الطبقات: يعتبر الشيوعيون أن الملكية هي المسؤولة عن كل الشرور التي تجري بين البشرية. وأنها كانت خلال التاريخ سببًا للصراع الطبقي الذي تسبب بالأحقاد

---

[1] لينين: اسمه الحقيقي فلاديمير ألتيش بوايلنوف، وهو قائد الثورة البلشفية الدموي، فهو الذي قاد الثورة على القيصرية الروسية في عام 1917م ونحمكم بالشيوعية حتى مات عام 1923م. انظر: الحمد، **الشيوعية**، ص 33.

[2] تروتسكي (1879-1940م): اسمه الحقيقي بروستالين وهو يهودي من طبقة متوسطة. وهو من شخصيات بارزة في الحزب الشيوعية في روسيا. انظر: **مصدر سابق**، ص 36.

[3] انظر: الميداني، **الكيد الأحمر**، ص: 71-91.

[4] انظر: **مصدر سابق**، ص: 91-122.

والاضطرابات في المجتمع البشري، ولذلك لا بد من إزالتها وتوجه الناس إلى الملكية الجماعية، أي أن الدولة هي المالك الوحيد للإنتاج كله كما كانت تتملك المصانع والمزارع كلها.

3.4) كفالة الدولة لجميع المواطنين، والمساواة في الأجرة: هذه الكفالة هي حق المواطنين على الدولة كما هي حق الدولة على كل المواطنين الذين يعملون لأجلها. وقد أعلن ماركس، أنه واجب على الدولة أن تكفل لكل فرد من الأفراد المواطنين ضروراته الأساسية، كالطعام والملابس والمسكن والجنس، باعتبارها حقوقًا طبيعية. وفي مقابل الكفالة فالدولة توجب كل قادر على العمل أن يعمل في المصانع أو المزارع ومن لا يعمل لا يأكل، وأن النساء متساويات مع الرجال في العمل والأجرة.

5.) إلغاء الدين: إن الدين هو الخرافة باعتبار الشيوعية. والدين يخالف معتقد الشيوعية التي تزعم أن المادة هي الأصل وهو سابق على الفكر. والدين قال بأن المادة هي مخلقة حادثة، فبذلك تصطدم مع التصور الشيوعي ووجب إلغاؤه بالنسبة إليهم.

6.) إلغاء الحكم: إن الشيوعية لم تطبّق هذا المبدأ لأن الحكم حامي المجتمعات الشيوعية من غيرها، لذلك فإن الشيوعية باعتبارها لم تصل إلى الشيوعية الحقيقية وهم يعتقدون أن المجتمع في المستقبل لا يحتاج إلى الحكم وسيأتي اليوم الذي تلغيها إلغاء تاماً.[1]

برزت الشيوعية بتلك المبادئ الفاسدة التي لا تجلب للبشرية إلا شقاوة الدنيا والآخرة. أنها بكونها مزعومة لأن تطبيقاتها بشكل حقيقي ليس ممكنًا كما لم يطبق من السابق. وهم زعموا أن المادة هي الأصل أي الأزلي والأبدي ولأجل ذلك الفكر أنكروا الأديان كلها، وهذا خرافة أعظم لأنهم يقولون بتغيّراتها والتغير دليل على حدثها. وأن أساس الشيوعية كان هو السعادة البشرية، ولكن في التطبيقات أصبحت ثورة دموية، وكانت الدكتاتورية التامة والظلم البشع على البشرية.

المطلب الثاني: رد النورسي على الشيوعية

جاهد بديع الزمان سعيد النورسي في طوال حياته مع مذاهب فكرية معاصرة باطة وبذل جهوده لتأسيس الحقائق الإيمانية والإسلامية بين أبناء المسلمين. وقد قال عن نفسه: لي غاية واحدة وهي: أنني في هذا الوقت الذي اقتربت فيه إلى القبر، وفي هذا الوطن الذي هو بلاد إسلامية، نسمع فيها نعيق أبوام البلاشفة، وهذا النعيق يهدد أسس الإيمان في هذا البلاد الإسلامية، ويشدّ الشباب المسلمين إليه، بعد سلب الإيمان منهم. فإنني بكل ما أملك من وجود، أجاهد هؤلاء، وأدعو المسلمين كلهم

---

[1] انظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ص: 410-418.

وبخاصة الشباب إلى الإيمان، فأنا دائمًا في جهاد مع الملاحدة والشيوعيين. وسأمثل إن شاء الله في ديوان حضور الله سبحانه وأنا رافع راية هذا الجهاد. وكل عملي ينحصر في هذا.[1]

إن فكرة الشيوعية باطلة ليس فيها أي حقيقة سوى الظلم للبشرية، وأثبت النورسي بطلان مذهبهم بشرح بطلان أساس آرائهم كما يلي؛

أ) حقيقة المادة:

زعمت الشيوعية أن المادة هي أصل كل شيء في الكون وهي أزلية وأبدية وهي خالق كل شيء موجود وسابق على الفكر البشري. ولكن الإسلام يرفض هذا الفكر لأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء والمادة هي أيضاً مخلوق من مخلوقاته، والمادة عاجزة ليست لها قوة للخلق.

عندما نظر الماديون إلى الكون رأوا أن المادة تشتغل في كثير من الأمور وتتكون بها الموجودات كلها بإذن الله تعالى أي تتجلى كثيرًا صفته العليا في تلك المادة، فالشيوعيون لعدم قبولهم بإله واحد وبسبب جهلهم يظنون أن المادة هي الخالق والأصل، أي يعطون أوصاف الله إلى المادة عاجزة في كونها، أي يقبلون آلهة لا نهاية لها بدل إله واحد. كما قال النورسي: إن قسمًا من أهل الضلالة يشعرون بالتجلي الأعظم للخلق والقدرة الربانية في تحولات الذرات ووظائفها المنتظمة، ولكن يجهلون مصدر ذلك التجلي، ويعجزون عن إدراك تلك القدرة من تجليات القدرة الصمدانية، فلجهلهم كل ذلك فقد شرعوا بإسناد آثار الألوهية إلى الذرات نفسها وإلى حركاتها. فتوهموا أزلية المادة. فسبحان الله! أفيمكن لإنسان أن يتردى إلى هذا الدرك والجهل والخرافة، فيسند الآثار والأفعال الحكيمة للعليم والبصير إلى ذرات عاجزة وجامدة، لا حول لها ولا قوة.[2]

إن المادة ليس لها قوة حقيقية وهي ليست أساسًا في الإيجاد. سألوا النورسي: إن الماديين لا يرون إرادة في الكائنات ويعتقدون أن كل الأشياء ناتجة من المصادفة وأمور الطبيعة، ولا يرون الأسباب المعنوية لتلك النتائج. فهل من حقيقة للمادة التي يستندون إليه؟ فقال النورسي جواباً: لا حقيقة له غير الضلالة. لأن كل شيء يحدث في الكون نرى هو فيه الحكمة والقصد. وذلك القصد يدل على الإرادة الإلهية المطلقة، ولا يبقى أي شيء من تلك الإرادة. ولكن القدير المطلق قد جعل الأسباب ستائر أمام تصرفاته بمقتضى حكمته المطلقة.[3]

---

(1) انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 516.
(2) انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 524.
(3) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 196.

وقال أيضاً: ولا يؤخذ بكلام من هم خارج إطار العلم، حتى لو كان عالمًا كبيرًا وله اختصاص في مهنته، لا حق له يتدخل في المهنة الجاهل فيها. مثلاً ليس حكم المهندس أكبر في مسألة الطب كطبيب أصغر لأنه جاهل بعلم الطب. لذا لا تؤخذ أقوال المنكرين في الأمور المعنوية، ولا يقام لها وزن، وبخاصة من توغل منهم كثيرًا في المادة، لأن من توغل كثيرًا في المادة ابتعد عن المعنويات وانحدر عقله إلى عينه حتى لا يرى شيئًا غير المادة. فلذلك لا قيمة لأقوال الماديين والمنكرين.[1]

والنتجة: قد ثبت بالتجربة أن المادة ليست أساسا وأصلاً ليكون الوجود مسخراً وتابعاً لها. إنما هي مطيعة خادمة لإكمال حقيقة المعية، وهذه الحقيقة هي الحياة. وأنها ليست الحاكمة حتى تُطلب منها الكمالات بل هي محكومة تتحرك لأساس الحياة.[2]

ب) الإسلام يزيل الصراع الطبقي في المجتمع البشري

إن الشيوعيين قالوا بأن كل الشرور والفتنة الموجودة بين المجتمعات سببها الملكية، وهذه الملكية أنتجت الطبقات في المجتمع، لذلك لا بد من إلغاء الملكية وتأسيس الاشتراكية في المجتمع. نعم، إن الفكر الاشتراكي تولد في الثورة الفرنسية التي جرت بين الطبقات البشرية، وهذا الفكر الاشتراكي يدعو إلى تدمير المقدسات، فقد انقلب إلى البلشفية. وكان أساس البلشفية هو إلغاء الصراع في المجتمع، ولكنها أصبحت سبب الظلم والإفساد وانهدام الأخلاق الإنسانية بإلغاء الدين والمقدسات. إذ القلب الإنساني إذا انتُزع منه الرحمة والاحترام، يحول أولئك الناس كالوحوش الضارية. فلا يجدي معهم الضبط السياسي.[3]

إن اليهود هم سبب كل صراع في المجتمعات ويسعون في الأرض فسادًا كما جاء في قول الله تعالى: (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [المائة: 64]. وفي قوله: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) [الإسراء: 4]. وفي قوله أيضاً: (كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [البقرة: 60]. قال النورسي عن هذه الآيات: إن القضيتين لليهود وهما: الحرص والفساد، وهم يديرون حياة المجتمع الإنساني بهما أي بالمكر والخديعة؛ فالآية تبين أنهم هم الذي أفسدوا حياة المجتمع وأوقدوا الحرب بين الفقراء والأغنياء

---

[1] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 131.
[2] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 590.
[3] انظر: النورسي، **الشعاعات**، ص: 110.

بتحريض العاملين عل أصحاب رأس المال. وبسبب الربا جمعوا أموال الفقراء بكل وسيلة دنيئة ومكر. وهم أنفسهم يؤسسون المناظرات الفاسدة ومدّوا أيدهم إلى كل الثورات الفاسدة في العالم.[1]

ولو نظرنا إلى تارخ البشرية لرأينا أسس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل أخلاق الرذيلة الاجتماعية هي كلمتان؛ الأولى: إن شبعتُ فلا علي أن يموت غيري من الجوع. والثانية: اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا. فالكلمة الأولى هي التي زلزلت العالم الإنساني. والقاطع لعرق تلك الكلمة ليس إلا (الزكاة). والكلمة الثانية هي التي سببت الظلم في المجتمع، وهي التي تلزم الناس إلى فكرة الشيوعية. وأن الدواء لتلك الكلمة ليس إلا (حرمة الرباء).[2]

نعم إن أهمية الزكاة لا تنحصر في الأشخاص المعين فقط، بل إنها تؤسس سعادة الحياة البشرية جميعاً. ذلك لأن البشرية طبقتان: الخواص والعوام. إن الزكاة تؤمّن الإحسان والرحمة من الخواص إلى العوام وتضمن الطاعة والاحترام من العوام إلى الخواص. فلو لم تكن الزكاة لظلم الخواص العوام، والعوام يعصون الخواص.[3]

فالمدنية بكل جمعياتها الخيرية ومؤسساتها الأخلاقية عجزت عن أن تصلح بين طبقتين من البشر. أما القرآن الكريم فقد رفض الكلمة الأولى، ويداويها بوجوب الزكاة. ورفض الكلمة الثانية ويداويها بحرمة الرباء. وقال للبشرية معنًا: أغلقوا أبواب الربا ليُغلق أبواب الصراع. وتحذر المؤمنين من الدخول فيها.[4]

ت) المساواة ضد الفطرة

إن من يفتح طريقاً جديداً في حياة البشر الاجتماعية، ولا يتحرك وفقاً لقوانين الفطرة في الكون لا يمكن أن يوفق في الخير. بل جميع أعماله تكون الشر والتخرب. فما دام العمل لا بد أن يكون بوفق قوانين الفطرة أمراً ضرورياً، فلا سبيل لتطبيق قانون المساواة المطلقة إلا بتغيير الفطرة البشرية. وقال النورسي: أنا من طبقة العامة معيشةً، ومن الآخذين بمبدأ المساواة في الحقوق فكراً، ومن العاملين على رفض سيطرة واستبداد طبقة الخواص. وأجلي أمر الإسلام الذي أمرنا بالرحمة والعدالة وأقف بكل قوتي ضد الظلم والاستبداد؛ إلا أن الفطرة هي ضد قانون المساواة المطلقة.[5]

---

[1] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 462.
[2] انظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإجاز**، ص: 52.
[3] انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص: 340.
[4] انظر: النورسي، **الكلمات**، ص: 470.
[5] انظر: النورسي، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، ص: 232.

وقال للأهل الحكم الذي يريدون تطبيق المساواة المطلقة: إن تطبيقات المساواة المطلقة ليست ممكنة والشيء الذي أنتم لا تطبقونه ليس لكم حق أن تطلبوه من الآخر؛ متى ارتفع الجندى العادي إلى مقام المشير في نظر المجتمع ويحترم بنفس احترام المشير. أو متى صار ذلك المشير مثل الجندي العادي وتقلد أحواله البسيطة. وأيضاً متى ما تساوي رئيس ذكي لأركان الجيش مع أغبى جندي، وصارا سواءً في إقبال الناس والاحترام والمحبة له. متى تساوى هؤلاء أمكنكم حينئذٍ أن تقولوا للمجتمع بتطبيق المساواة المطلقة.[1]

إن المساواة المطلقة في الإسلام هي أمام الحقوق وليست في فطرة الإنسان، فالمساواة في الحقوق هي العدالة المطلقة، والمساواة في الفطرة هي الظلم المطلق. وقد خلق الله جميع البشر على فِطرات مختلفة؛ ففطرة النساء ليست كفطرة الرجال، والفطرة الضعيفة ليست كالفطرة القوية، ولو تشمل المساواة المطلقة كلهم لشمل الظلم المطلق كلهم.

---

[1] انظر: النورسي، **اللمعات**، ص: 240.

الخاتمة

الحمد لله تعالى الذي بنعمته أتممت هذه الدراسة، فقد ظهر من خلالها أمور منها:

1. من علماء أواخر الدولة العثمانية وبداية الجمهورية التركية بديع الزمان سعيد النورسي الذي عاش في عصر ممتلئ بالأفكار غير الإسلامية، فقد بذل جهداً عظيماً في الردّ على المخالفين ممثلاً لعقيدة أهل السنة والجماعة.

2. لم يقتنع الإمام بديع الزمان سعيد النورسي بإثباتات العلماء السابقين، لأن لتغير العصر والأفكار البشرية ونشر التيارات الكفرية الجديدة، لذلك وسّع النورسي أدلة العلماء السابقين، وزاد عليها أدلة جديدة أستنبطها من القرآن الكريم يرد بها على الشبهات.

3. فقد تميز منهج سعيد النورسي بإثبات وجود الله تعالى، وتنوّع أدلته فيها، ومن أهمّ الأدلة التي استخدمها فيما يلي: دليل العناية والغاية، ودليل الحدوث والاختراع، ودليل الإمكان، وعجز الأسباب في إيجاد المسببات، وقبول الأدعية وتلبية الاحتياجات، والتعاون بين المخلوقات، وإجماع الأنبياء والعلماء. ولكن لابد من الإشارة أنّ النورسي وسّع هذه الأدلة وشرحها بطريقة جديدة، وأثبت وجود الخالق بأسلوبه الخاص به.

4. أثبت الإمام النورسي وحدانية الله تعالى بالأدلة المتنوعة التي استعان بها من نصوص الشريعة، والعقل السليم والمنطق، ومشاهداته الخاصة به مع التمثيلات التي تبين مقصده، ومن أهمّها: الانتظام والتوازن والإتقان في الكون، وخالق الجزئيات هو خالق الكليات، وعبادة الموجودات والكائنات، والوحدة في الكون، واختلاف صور الموجودات والكائنات، والحاكمية ترفض الاشتراك، ورسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

5. لم يستعن سعيد النورسي بأفكار التيارات المعاصرة الكفرية التي تهدد البشرية بوجه عام والمجتمع الإسلامي بوجه خاص، وبذل النورسي جهداً عظيماً في الرد على تلك التيارات، ومن أبرز التيارات المعاصرة: الإلحاد، والعلمانية، والشيوعية.

6. عالج سعيد النورسي فكر الإلحاد، وبيّن طريقتهم الأساسية، منها: الأول: أوجدته الأسباب، أي أسباب موجِد الأشياء، والثاني: تشكل بنفسه، أي أشياء توجد من العدم إلى الوجود بنفسها، والثالث:

اقتضته الطبيعة، أي الطبيعة توجد الأشياء. ثم ردّ على هذه الأقوال الباطلة، وأثبت بطلان آرائهم، وشرح الطريقة الصحيحة الإيمانية بأن الموجودات وُجِدت بإيجاد موجِدٍ قدير ذي الجلال.

7. فقد تناول سعيد النورسي الفكر العلماني، وردّ على شبهاتهم التي أثارها أصحابه حول الإسلام، ومن أهم القضايا التي بيّنها سعيد النورسي: حقوق المرأة، وحرية غير المسلمين، زعمهم التخلف في النظام الإسلامي كما كان في أوروبا في القرون الوسطى، وزعمهم عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في عصرنا الحاضر.

8. فقد تناول سعيد النورسي الفكر الشيوعي، وبيّن أفكارهم الباطلة، ثم شرح المسائل التي أثارها أصحابه بمنظور العقيدة الإسلامية، ومن أهمّ المسائل التي ردّها سعيد النورسي على الشيوعيين، منها: بيان حقيقة المادة، وتوضيح إزالة نظام الإسلام والصراع الطبقي في المجتمع، وبيان بطلان المساواة المطلقة بأنه يخالف فطرة الإنسان.

المصادر والمراجع

ابن أبي أصيبعة(ت 668هـ)، **كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط1، (تحقيق: د.عامر النجار)، دار المعارف، القاهرة، 1996م.

ابن الجوزي، أبي فرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي(ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، (خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين)، الدار العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ابن المسعود، أبو الفداء(2013م)، **آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين**، (ط1)، القاهرة: دار الإمام مسلم.

ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **الرد على المنطقيين، دار ترجمان السنة**، باكستان، 1976م.

ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **رسائل من السجن**، ط4، (جمع: محمد العبدة)، دار الطيبة، الرياض، 1986م.

ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **مجموع الفتاوى**، 2م، (المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1995م.

ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **مجموعة الرسائل الكبرى**، ط2، 2م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1976م.

ابن تيمية(ت 728هـ/1328م)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ط1، 3م، (تحقيق: د.محمد رشاد سالم)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1986م.

ابن حجر العسقلاني(ت 852هـ/1449م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 11م، (عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز)، دار المعرفة، بيروت، 1379م.

ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر(ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، 5م، (تحقيق: سامي بن محمد السلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.

أبو عاقلة، فتح الرحمان يوسف عمر(1999م)، **منهج القرآن الكريم في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، السودان.

أزتنا، يلماز(1990)، **تاريخ الدولة العثمانية**، (ترجمة: عدنان محمود سلمان)، استانبول: منشورات مؤسسة فيصل للتمويل.

الأشعري، أبو الحسن(ت 324هـ/ 936م)، **كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، (صححه وقدم له: د. حمودة غرابة)، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون مكان، 2015م.

الأشقر، أ.د.عمر سليمان عبد الله(2004م)، **العقيدة في الله**، (ط15)، عمان: دار النفائس.

الأشقر، أ.د.عمر سليمان عبد الله(2010م)، **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة**، (ط8)، عمان: دار النفائس.

الألباني، محمد ناصر الدين(بدون التاريخ)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (ط1)، الرياض: مكتبة المعارف.

الآمدى، سيف الدين(ت 631هـ/ 1233م)، **غاية المرام في علم الكلام**، (تحقيق: حسن محمودعبد اللطيف)، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1971م.

أنيس، إبراهيم وغيرهم (2004م)، **المعجم الوسيط**، (ط4)، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

باكر، عاصم الدين أحمد محمد(2000م)، **منهج ابن تيمية في إثبات وجود الله ورأيه في أدلة الفلاسفة والمتكلمين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان.

البخاري(ت 256هـ/ 810م)، **صحيح البخاري**، ط1، (المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، بيروت، بدون التاريخ.

بدوي، د.عبد الرحمان(1997م)، **مذاهب الإسلاميين**، بيروت: دار علم للملايين.

بدوي، د.عبد الرحمن(1984م)، **موسوعة الفلسفة**، (ط1)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

البغدادي، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي(ت 429هـ/1037م)، **أصول الدين**، ط1، مطبعة الدولة، استانبول، 1928م.

بكلي، محمد الأمين مصطفى(2015م)، **الكنيسة وأثرها في ظهور الإلحاد في أوروبا**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

البهنساوي، المستشار سالم(1992م)، **الاسلام لا العلمانية مناظرة مع د.فؤاد زكريا**، (ط1)، الكويت: دار الدعوة.

الترمذي، أبو عيسى(ت 279هـ)، **سنن الترمذي**، ط2، (تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيرهم)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (1975م).

الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز(2004م)، **تسهيل عقيدة الإسلامية**، (ط3)، الرياض: دار صميعي.

جرار، د. مأمون فريز(2013م)، **اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي**، (ط1)، عمان: دار المأمون.

جرار، د.مأمون فريز (2017م)، **بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة**، (ط1)، عمان: دار المأمون.

جرار، د.مأمون فريز (2017م)، **في ظلال رسائل النور**، (ط1)، عمان: دار المأمون.

جرار، د.مأمون فريز (2017م)، **قضيا وتجليات في رسائل النور**، (ط1)، عمان: دار المأمون.

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف(ت 816هـ/1413م)، **معجم التعريفات**، (تحقيق: محمد صديق المنشاوى)، دار الفضيلة، القاهرة، بدون التاريخ.

الجوزية، ابن قيم(ت 751هـ/ 1350م)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط3، 3م، (المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م.

الجوينى، عبد الملك بن عبد الله(ت 478هـ)، **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد**، ط2، (تحقيق: أ.د.احمد عبد الرحمان السايح)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2015م.

حرب، د.محمد(1991م)، **مذكرات السلطان عبد الحميد**، (ط3)، دمشق: دار القلم.

الحمد، محمد بن إبراهيم(2002م)، **الشيوعية**، (ط1)، الرياض: دار ابن خزيمة.

د. بحراوى (1978م)، **حركة الإصلاح في عصر السلطان محمود الثاني**، (ط1)، القاهرة: دار التراث.

الدوسري، شيخ عبد الرحمان(1982م)، **الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة**، (ط1)، كويت: مكتبة دار الأرقم.

الرازي، فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين(ت 606هـ)، **التفسير الكبير**، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

الرازي، فخردين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين(ت 606هـ)، **أساس التقديس في علم الكلام**، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، بدون التاريخ.

زاكارياس، د.رافي(2014م)، **الوجه الحقيقي للإلحاد**، (ترجمة: ماريانا كتكوت)، الناشر: رؤية للطباعة.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسينى(ت 1205هـ/1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط2، 9م، (تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1971م.

الزجاج، أبي إسحاق إبراهيم(ت 311هـ/928م)، **تفسير أسماء الله الحسنى**، ط2، (تحقيق: أحمد يوسف الدقاد)، دار المأمون للتراث، دمشق، 1975م.

الزين، مصطفى (1991م)، **ذئب الأناضول**، (ط1)، لندون: رياض الريسللنشر.

السيوطي، جلال الدين(ت 911هـ/ 1505م)، **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام**، ط1، (تحقيق: أحمد فريد المزيدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1970م.

الشافعي، أ.د.حسن(1997م)، **الآمدي وآراؤه الكلامية**، (ط1)، القاهرة: دار السلام.

الشافعي، د.حسن محمود (2001م)، **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، (ط2)، كراتشي(باكستان): إدارة القرآن والعلوم الإسلامية.

شاكر، محمود (1996م)، **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر تركيا**، (ط3)، المكتبة الإسلامية.

الشهرستاني، عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت 548هـ/ 1153م)، **الملل والنحل**، ط3، (تحقيق: علي حسن فاعور وغيره)، دار المعرفة، بيروت، 1993م.

الشهرستاني، عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت 548هـ/ 1153م)، **كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام**، ط1، (حرره وصححه: ألفيد جيوم)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009م.

الصالحي، احسان قاسيم(2010م)، **نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي**، (ط1)، القاهرة: دار سوزلر.

الصلابى، علي محمد محمد (2001م)، **الدولة العثمانية وعوامل النهوض وأسباب السقوط**، (ط1)، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

صليبا، د.جميل(1982م)، **المعجم الفلسفي**، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الطنطاوي، علي(2017م)، **تعريف عام بدين الإسلام**، (ط7)، جدة: دار المنارة.

عبد الخالق، عبد الرحمن(1404هـ)، **الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها**، (ط2)، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإتاء والدعوة والإرشاد.

العبد اللطيف، د.عبد العزيز بن محمد بن علي(1427هـ)، **نواقض الإيمان القولية والعملية**، (ط3)، الرياض: مدار الوطن للنشر.

عبدي، جابر حسين (2014م)، **النصوص التفسيرية للشيخ بديع الزمان سعيد النورسي من خلال (كليات رسائل النور): جمعًا ودراسة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، السودان.

عثامنه، هبه عدنان (2014م)، **العلاقات الأسرية في فكر النورسي: دراسة تربوية تحليلية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

العدوي(الدردير)، أحمد بن محمد(2004م)، **شرح الخريدة البهية في علم التوحيد**، (ط1)، (تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دمشق: مكتبة دار الدقاق.

عمر، أ.د.أحمد مختار(2008م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (ط1)، القاهرة: عالم الكتب.

الغزالي، الإمام محمد أبي حامد محمد بن محمد(ت 505هـ)، **إحياء علوم الدين**، ط1، (تحقيق: محمد بن نصر أبي جبل)، مكتبة مصر، القاهرة، 2013م.

الغزالي، الإمام محمد أبي حامد محمد بن محمد(ت 505هـ)، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ط1، (شرح وتحقيق: الدكتورة إنصاف رمضان)، دار قتيبة، دمشق، 2003م.

الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد(ت 593هـ/ 1197م)، **كتاب أصول الدين**، ط1، (تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1998م.

الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(2010م)، **لسان العرب**، 3م، بيروت: دار صادر.

فودة، د.سعيد عبد اللطيف (2016م)، **الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة**، (ط1)، منشورات الأصلين.

القرني، د.عبد الله بن محمد (201م)، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، (ط4)، جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

القضاة، نوح علي سلمان(1999م)، **المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد**، عمان: دار الرازي.

قطب، محمد(1979م)، **الإنسان بين المادية والاسلام**، (ط9)، القاهرة: دار الشروق.

قطب، محمد(2008م)، **مذاهب فكرية معاصرة**، (ط10)، القاهرة: دار الشروق.

كريسون، أندريه(1979)، **المشكلة الأخلاقية والفلاسفة**، (ترجمة: الإمام عبد الحليم محمود، وغيره)، القاهرة: دار الشعب.

مجموعة من العلماء والباحثين(1999م)، **الموسوعة العربية العالمية**، (ط2)، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

مجموعة من العلماء(د.محمد عمارة) (2008م)، **قالوا عن النورسي**، (ط1)، القاهرة: دار السنابل الذهبية.

مسلم(ت 261هـ/875م)، **صحيح مسلم**، (المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون التاريخ.

الميداني، عبد الرحمان حسن حبنّكة (1991م)، **الكيد الأحمر**، (ط3)، دمشق: دار القلم.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة(2012م)، **العقيدة الإسلامية**، (ط16)، دمشق: دار القلم.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة(1991م)، **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، (ط2)، دمشق: دار القلم.

النجار، د.أحمد بن محمد بن الصادق(2015م)، **التعلقات السنية على مقدمة ابن عاشور الإعتقادية الأشعرية**، (ط1)، المدينة النبوية: دار النصيحة.

النجدي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي(بدون التاريخ)، **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان**، (تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

النعيمي، د. أحمد نوري (2011م)، **تركيا بين الموروث الإسلامي والإتجاه العلماني**، (ط1)، عمان: دار الجنان.

النعيمي، د. أحمد نوري(1997م)، **اليهود والدولة العثمانية**، (ط1)، عمان: دار البشير.

نور، خالد بن عبد اللطيف بن محمد(1995م)، **أهل السنة والجماعة و منهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى**، (ط1)، المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية.

نور، محمد أحمد محمد(2014م)، **المذاهب الفكرية وأثرها على حياة المسلمين: دراسة مقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة والمذاهب المعاصرة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، السودان.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**،(تحقيق: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **الشعاعات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **الكلمات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **اللمعات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **المثنوي العربي النوري**، (تحقيق: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **المكتوبات**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **الملاحق**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013)، **صيقل الإسلام**، (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، (ط7)، القاهرة: دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2013م)، **سيرة ذاتية**، (ترجمة: احسان قاسيم الصالحي)، (ط7)، القاهرة:دار سوزلر.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2014م)، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي (Bediüzzaman Said Nursi Tarihçe-i Hayatı)**، (ط8)، إستانبول: دار الأنوار.

النورسي، بديع الزمان سعيد (2016م)، **سيرة بديع الزمان سعيد النورسي بلسانه وأقلام تلامذته**، (ترجمة: حسين عثمان وآخرون)، (ط1)، استانبول: دار الأنوار.

هلال، رضا (1999م)، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان**، (ط1)، القاهرة: دار الشروق.

واحدة، شكران (2007م)، **الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي**، (ترجمة: محمد فاضل)، (ط1)، القاهرة: دار سزلر.

وهبه، مراد، **الأصولية والعلمانية**، (ط1)، القاهرة: دار الثقافة.

سلطت هذه الدراسة الضوء على منهج بديع الزمان سعيد النورسي في إثبات وجود الله ووحدانيته وجهوده في الرد على التيارات المعاصرة، لذا بدأ الباحث بالتعريف ببديع الزمان سعيد النورسي؛ عصره، حياته، ومكانته العلمية. ثم انتقل بالحديث إلى منهج علماء أهل السنة والجماعة في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، وبيان منهج سعيد النورسي في تناولهما مع إيضاحات تفصيلية. وأخيرًا تناولت الدراسة جهود سعيد النورسي في الردّ على شبهات التيارات المعاصرة (الإلحاد، والعلمانية، والشيوعية)، وبيان طريقة عرضه فيه. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها؛ أن منهج سعيد النورسي في إثبات وجود الله ووحدانيته منهج خاص، وله أسلوب فريد يختلف عما سبق من علماء أهل السنة والجماعة، إضافة إلى ذلك بأن سعيد النورسي ردّ على التيارات المعاصرة بأسلوب علمي اعتماداً على أدلة دقيقة.

İKSAD Publishing House

ISBN: 978-625-367-008-5